

كما يريدها الإسلام

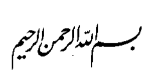
خالد مصطفى عادل

دار ابن حزم

مكتبة
دار حواء

المرأة

كما يريدها الإسلام


بسم الله الرحمن الرحیم



كما يريدها الإسلام

خالد مصطفى عادل

مكتبة دار حواء

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مكتبة
دار حواء

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف ٢٦٤٦٠٣١ - فاكس ٢٦٢٠٨٤٢ ص ب ٩٨٠٧ السالمية المركزي

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علىٰ أفضل الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبدالله وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبع سنتهم واهتدىٰ بطريقهم إلىٰ يوم الدين وبعد:

حين كرّم الله تعالىٰ الإنسان كرّم كل إنسان في كل زمان ومكان ذكراً وأنثىٰ من حيث هو، ليكون ذلك أساساً كريماً للبناء الإنساني الذي أراده الله تعالىٰ قائماً علىٰ شرعه ومنهجه وليكون بمقومات إنسانية مؤهلة ولائقة، ربانية المنهج، إلهية المصدر، لتولّي أمر هذا الدين والبناء عليه والعيش به وفيه وله في هذه الحياة، وإعداداً للقاء الله تعالىٰ يوم الدين بنوعية ومستوىٰ يسمح للإنسان تولي خلافة الله تعالىٰ في أرضه بأمره ومنهجه، جلّت قدرته وعظمت نعمته.

ومثلما كرّم الله سبحانه إنسانية الإنسان كذلك أكرمه بالإسلام توضيحاً وتعاملاً وأنعم عليه هذه النعمة الكبرىٰ وجعل منهجه الأمين واقعاً عملياً سارياً في الحياة الإسلامية الفاضلة وطابعاً حضارتها الإنسانية المتفردة بطابعه الكريم.

فكان الإسلام شاملاً الأجناس والأقوام كافة فكلهم خلق الله وعبيده فهم فيه سواسية كأسنان المشط لا يُظلم أحد أو ينقص لأي سبب أو أساس بل هذا هو الأساس الذي وضعه الله جلّ جلاله خالق الإنسان، وهو الذي أوضح له في شرعه الكريم ألا تفاضل إلا بمقدار العمل به والالتزام بتعاليمه والأخذ بالتقوىٰ فيه وفعل الخير باتباعه، حسب أمره ونهيه.

فلا نتوقع من الإسلام ـ والصورة كذلك ـ إلا أن يكرّم المرأة أيضاً مثلما كرّم الرجل سواء بسواء لأنها مثله إنسان، فليس في الإسلام هضم لأحد أو محاباة لآخر فشرع الله ونعمته وفضله وعدله لخلق الله كافة، وعليه أظهر الإسلام دور المرأة وأبان مكانتها وعين مسؤوليتها وكرم إنسانيتها.

واختلاف تكوينهما وتباين صورتيهما هو مقتضىٰ حكمة الله تعالىٰ في مهمتهما الأمر الذي لا ينقص من قدر أي منهما بل هو ضروري ولازم.

تلك الصيغة والصبغة المتقنة المقنّنة ـ وبلا زيادة أو نقصان ـ بها تسير الأمور بإرادته ويتم إتقان الحياة بحكمته، شأن كل مخلوقات الله تعالىٰ في هذا الكون العريض الفسيح ـ منظورة ومستورة، غيباً وشهادة ـ خلقه الله بمقدار ﴿*وكل شيء عنده بمقدار*﴾ [الرعد: ٨].

فالمرأة والرجل شقان متكاملان متلازمان متآخيان متزاوجان، تقوم الحياة الإنسانية بهما، ولكل منهما دوره وميدانه تلاقياً وتنوعاً ولذلك أعدّ الله سبحانه كلاً منهما وزوّده بما يؤهله لمهماته وأداء واجباته فروضاً وضرورات

وكل ما شرع الله للإنسان فهو لصالحه وسعادته في الدارين، وكلّما خصّ سبحانه الرجل فهو لصالحه ومن أجله، وما خص جلّ جلاله المرأة فهو كذلك لصالحها ومن أجلها، رحمة ونعمة، وعدلاً وفضلاً.

وهذا لا يكون إلا في شرع الله تعالىٰ ـ وهو الخالق القادر الحكيم العالم ـ الذي أراده للإنسان، عمراناً وبنياناً، واستقراراً وسعادة في الدنيا والآخرة، وبه وحده يكون والشرود عنه والتباعد منه لا يوقع إلا في الهلاك ولا يورث إلا الخسران، وليس من بديل، سنة من سنن الله تعالىٰ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ويوم كانت المرأة تهان وتُنكر عليها إنسانيتها أو يُنظر إليها مخلوقاً دنيئاً رديئاً قد يُساوىٰ بالحيوان، كرّمها الإسلام ورفع شأنها تكريماً حقيقياً أصيلاً إنسانياً، وسيبقىٰ الإسلام متفرداً في هذا الأمر، كما هو في كل أمر غيره، وحتىٰ اليوم فإن مكانتها الإنسانية في الإسلام لا تجاريها مكانة لأخواتها في الأمم الأخرىٰ وفي بلدانها المتحضرة، مهما خدعت المظاهر، وسيبقىٰ الأمر كذلك حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها.

وحين نتحدث عن ذلك كله يجب عدم الربط بين الوضع الذي يريده الإسلام ويأمر به وبين ما يمارس باسمه أو في داره وأرضه من تصرفات، فلقد كرّم الإسلام المرأة أماً وأختاً وزوجاً وبنتاً، في كل أمورها، جليلها ودقيقها، بأسلوب يغور إلىٰ الحقائق، ينسجم والخلقة والفطرة، تجاه المسؤولية والمهمة والحياة الإنسانية وضروراتها، ومع مراعاة الخصائص كافة، كإنسان وإمرأة.

والحياة الإسلامية التي صاغها الإسلام وبناها عاشت ذلك واقعاً في

الفرد والمجتمع في مشاهد باهرة وصور نيّرة، لم يعرفها التاريخ وحضارته في غير مجتمع الإسلام، وبدا ذلك أكثر وضوحاً وأشد تألقاً كلما كان الالتزام بشرع الله ظاهراً والحرص عليه غامراً، والأمثلة تملأ بطون الكتب وتزين صفحاتها، تروي لنا أخبار مجتمع عاش قروناً في مواطن من العالم سعدت به، وكانت آمنة مطمئنة في ظله، صيغاً فريدة تتمناها المرأة المعاصرة في كل الديار، شرّقت أو غرّبت، في ارتيادها وزيارتها.

جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، يريد الجهاد في سبيل الله، فقال الرسول الكريم ﷺ: ***«هل لك من أم»؟*** فقال نعم. قال: ***«فالزمها فإن الجنة عند رجلها»***.

وأوجب الإسلام احترام ومراعاة الزوجة حتىٰ جعل للزوج الأجر لوضع اللقمة في فم زوجته. قال الرسول الكريم ﷺ في بيان مكانة الزوجة ***«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»*** رواه مسلم.

وجعل الإسلام لإحسان تربية النساء أجراً.. وجزاء تربية عدد منهن تربية صالحة هو الجنة، وهذا قائم علىٰ أساس الإسلام، في إحسان التربية والتزام المربي بهذا المنهج، فالله تعالىٰ يثيبه أو يثيبها علىٰ ذلك الجنة، وهو يصور أهمية التربية الصالحة علىٰ النهج المستقيم ـ كما يريده الله تعالىٰ ـ وأهمية الالتزام بشرع الله، وحين ذلك يكون في التربية التحري لهذا الشرع وابتغاء وجه الله تعالىٰ فيه، فمن يحسن أو تحسن تربية البنات تربية صالحة يكون جزاء ذلك عند الله وأجره الجنة.

كذلك أوجب الإسلام العناية بالأسرة، ومنها الأخوات، وجعل برّهم ومواصلتهم ورعايتهم عظيم الأجر والثواب، وجعله واجباً علىٰ المسلم أن

يؤديه بحب ورغبة، بكل أنواع البر والرعاية والحنو والولاية، وهكذا يقيم الإسلام مجتمعه ويبني الفرد فيه ويعتني بالنواة الأساس في حياة الأمة المسلمة في الأسرة بكل أركانها واتباعها.

وهذا إذا كان بالنسبة للمرأة فالرعاية والكفاءة والبر والإحسان بأفرادها جميعاً واجب مطلوب، هذا البر الذي يشع ويشيع منها إلى الخارج في المجتمع المتحضر، يحميه ويرعاه ويسأل عنه ويطالب بالمشاركة في بنائه، ليسعد كل من استظل بظله، حتىٰ غير المسلمين فيه والقادمين إليه، كل ذلك بحدود معلومة وضوابط مرسومة، تدل على نوعيته وإلىٰ مستوىٰ إنسانيته، الرائع الفريد.

والله جلّت قدرته لا يضيع عمل الإنسان مهما كان، ذكراً أو أنثىٰ. لذلك يقول جلّ وعلا: ﴿***من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون***﴾ [النحل: ٩٧].

كما يقول تعالىٰ: ﴿***فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ بعضكم من بعض، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الثواب***﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ولقد جعل الإسلام للمرأة حقوقاً معلومة واضحة محددة، لا فضلاً ولا منة لأحد غير الله تعالىٰ وحده، فيقول: ﴿***ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم***﴾ [البقرة: ٢٢٩].

بل إن الإسلام دعا وحبّذ في الرعاية الأكثر، ظاهراً وباطناً، نفساً وحياة، وجعل من يقوم بهذا يكافأ من الله تعالىٰ بمزيد من الأجر والثواب، وهذا ما يشهد به الكثير من المنصفين الذين اطلعوا علىٰ أحوال المرأة في الإسلام.

هذا إذا علمنا حال ما كانت تعامل به المرأة في المجتمعات كافة، بالامتهان والإذلال وتحاز للذّة بالحرام أو الحلال، بل إن ذلك موجود بعد الإسلام وحتىٰ اليوم، ولم يكرم المرأة كالإسلام نهج أو نظام، ولا غرابة فهو شرع الله تعالىٰ الذي أكرم به سبحانه بني الإنسان، في كل ديارهم وعصورهم علىٰ تعاقب الدهور والأجيال.

يحدثنا التاريخ عن اليونان في مقتبل دولتهم كيف كانوا يمتهنون المرأة ويعدُّونها مِنْ سَقَط المتاع، حتىٰ لَتُباع البنت الزوجة وتُشترىٰ في الأسواق، وكيف كانوا يسلبونها الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلىٰ حقوقها المدنية والمالية.

لقد كانوا يحرمونها من الميراث، وإذا تزوجت وليس لها الخيار في الزواج واختيار الزوج فإنَّ زوجها بعد أبيها يصبح صاحب الإشراف المطلق عليها حتىٰ في أموالها، فلا تستطيع أن تبرم تصرُّفاً ما دون موافقته.

ويحدثنا التاريخ عنهم في إدبار دولتهم كيف فشا فيهم الزنىٰ والفجور، وعُدَّ من الحرية أن تكون المرأة عاهراً وأن يكون لها عُشّاق، ونصبوا التماثيل للغواني والفاجرات، بل زعموا أن «أفروديت» إحدىٰ آلهاتهم وكانت تبلغ ألفاً خانت زوجها مع ثلاثة مع آلهتهم.. ومع رجل من البشر، وجاءت من الأخير بولد سموه «كيوبيد» ويعنون به ابن الحب ولا يقولون ثمرة الزنىٰ!.

وهكـذا بقي الأمـر حتىٰ ذهب الله تعالىٰ بمدنية اليونان وثقافتهم وحريتهم علىٰ يد فيليب وولده الشاب إسكندر المكدوني.

ويحدِّثنا التاريخ عن الرومان في مقتبل دولتهم وإدبارهم بمثل ما حدَّثنا عن اليونان.

وإن كان يحدث في مقتبل تَيْنك الدولتين: أن اكتفاء المرأة بزوجها وعفَّتها به وحفظها نفسها؛ كان معدوداً من الصفات الكريمة، وكان أولئك النِّسْوة العفيفات محترمات مكرمات في المجتمع.

ويحدِّثنا التاريخ أن الهندي الزوج إذا مات وأُلقي في بئر، لم يبق لزوجته سبب للعيش بعده، فتجعل معه.. حتىٰ يأتيها الموت!.

وما رُفع هذا الحَيْفُ عن الهندية الزوجة إلا بحكم الإسلام فيهم، وقد كاد يحكم عمومَ الهند، خاصة أيام الملك الصالح أورنك زيب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ حتى احتل الإنكليز الهند، وفعلوا ما فعلوا بأهلها وبالمسلمين منهم خاصة.

ويحدثنا التاريخ من خلال القرآن والسنة: كيف كان بعض العرب يغتَمُّ ويحزن، وتضيق به الحياة علىٰ سعَتها إذا رزقه الله تعالىٰ أنثىٰ، فما يدري ما يصنع بها، هل يمسك هذه البنت علىٰ ذلٍّ وهوان، أم يدسيها في التراب؟! ألاَ ساء ما يحكمون.. هذا إلىٰ إرث زوجة الأب، وحرمان المرأة من الميراث.. وكيف كان أحدهم إذا أراد نجابة الولد حمل امرأته بعد طهرها من الحيض إلىٰ الرجل النجيب، كالشاعر والفارس، وتركها عنده حتىٰ يستبين حملها منه، ثم عاد بها إلىٰ بيته وقد حملت بنجيب!..

ويحدثنا التاريخ القريب والمعاصر عند الآخرين: كيف أُغريت المرأة بالخروج من البيت، وأجبرت على العمل مع الرجل، ومثل الرجل أحياناً، ثم لا تساوى مع الرجل في شروط العمل وتعويضه، ولا في الحقوق العامة وما إلى ذلك.

وإلى وقت قريب كانت المرأة في الدول الأوروبية، أو في بعضها، لا تستطيع التصرف بمالها الخاص بموافقة زوجها وخلال التاريخ في بلدان العالم غير الإسلامي قاست المرأة وديست وأهملت وأهينت، مهما اختلفت الأشكال والأحوال، أو ظهر هذا في صور مبرقعة أو مقنعة. فهي ما تزال حتى اليوم وستبقى منقوصة مقصوصة، ومنكوسة منجوسة في أي مجتمع لا يدين بدين الله.

وبالنسبة للمرأة، وللإنسان عموماً والحياة بكل شمولها، كان المسلمون والعالم الإسلامي كله، أولى من كل أحد وأوجب عليه أن يبني حياته على منهجه القويم. تحيا فيه هذه الصور بأنصع وضع وأبهى حلة، ليرى العالم عملياً، روعة هذا الدين ويقبل عليه يعتنقه ويتبناه، وهذا ما كان سبباً في انتشار الإسلام وامتداد ظلاله الوارفة، حيث يحيا الإنسان، الرجل والمرأة، بكل صلاتها وأحوالها ومواقعها ومراحلها بسعادة وأمان وراحة واطمئنان، والحمد لله أولاً وآخراً.

الكويت
رمضان ١٤١٤هـ
فبراير ١٩٩٤م

خالد مصطفى عادل

ماذا صنع الاسلام بالمرأة؟!

لقد عاد الإسلام بالمرأة إلىٰ الفِطْرة التي فطرها الله تعالىٰ عليها.

لقد عاد الإسلام بالمرأة إلىٰ الهُدىٰ الذي أنزله الله تعالىٰ لخير البشرية علىٰ الإنسان الأول آدم عليه السلام.

والويل لمن حاد عن الفِطْرة وتنكَّب طريق هُدىٰ الله تعالىٰ في الإسلام.

وذلك لأن الإسلام فكرة ونظام، الإسلام حَقٌّ وهدىٰ، وما كانت الفكرة الصحيحة لترتبط بزمن وهي فكرة صحيحة، لأنها فوق الزمن، وما كان الحق ليرتبط بزمن وهو حق، لأنه فوق الزمن.

أرأيتَ الصدق والأمانة والحياء وحب الخير للناس، والتعاون علىٰ البرِّ وطاعة الحاكم في المعروف وأمثالها. إنها أُمور قديمة وأخلاق سابقة، لكنها تحكم كل زمن وتعلو علىٰ كل زمن، لأن الزمن وعاء وعرض، والحق - والإسلام هو الحق - هو الأصل والجوهر.

إنَّ الجـديـدَيـن في طول اختـلافـهـا
لا يفسـدان ولـكـن يفسـدُ النـاسُ

لقد قرر الإسلام المساواة في أمور أصلية أصيلة بين الرجل والمرأة.

وإليك بيان تقرير الإسلام هذه المساواة في نقاط:

١ ـ المساواة في الإنسانية:

علىٰ حين كان الرومان يقرِّرون في القرن السادس أن المرأة روح شريرة، جاء الإسلام ليقرِّر المساواة الكاملة في الإنسانية بين الرجل والمرأة.

قال الله تعالىٰ: ﴿***يا أيُّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً***﴾ [النساء: ١].

وقال: ﴿***وهو الذي خلق مِنَ الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وكان ربُّك قديراً***﴾ [الفرقان: ٥٤].

وقال ﷺ: «***إنَّما النساء شقائق الرجال***» أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم.

فالرجال كلُّهم أولاد نساء ورجال، والنساء كلُّهن بنات رجال ونساء.

وكل منهما خلق على فِطْرة الخير وهداه الله تعالىٰ النَّجْدين.

قال ﷺ: «***كل مولود يولد علىٰ الفطرة. فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه***» أخرجه البخاري.

٢ ـ المساواة في الخلقة:

علىٰ حين كان الإسبان يقولون: «***احذر المرأة الفاسدة ولا تركن إلىٰ المرأة الفاضلة***» أو ينسب إلى التوراة المبدَّلة: «***المرأة أمرُّ من الموت، وإن الصالح أمام الله ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدتُ، أما امرأةً فبين كل أولئك لم أجد***»، جاء الإسلام ليقرِّر أن نفس الرجل والمرأة سواء، يسموا بها إيمان وخلق. ويتَّضع بها كفر وانحراف. قال الله تعالى: ﴿***ونفسٍ وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها، وقد***

خاب من دساها﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وبعض الفروق الجسمية بين الرجل والمرأة لا تؤثر علىٰ النفس الواحدة. وهي الأصل كما قال الشاعر:

أقبِلْ علىٰ النفسِ واستكمِلْ فضائلها

فأنتَ بالرُّوحِ لا بالجسمِ إنسانُ

٣ ـ المساواة في الكرامة الإنسانية:

علىٰ حين كان قانون «حمورابي» يقرِّر أن: من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلِّم بنته إليه ليقتلها أو يتملَّكها، جاء الإسلام ليقرِّر المساواة في الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، فحرَّم وأد البنت خوف العار، كما حرّم قتل الصبي خوف الفقر، قال ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه: «**سئل رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظم؟**»، **قال**: «**أن تجعل لله نداً وقد خلقك**». **قيل ثم أيُّ؟ قال**: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**» **قيل ثم أيُّ؟ قال**: «**أن تزاني حليلة جارك**» أخرجه البخاري ومسلم.

وقال الله تعالىٰ: ﴿**وإذا الموؤدة سئلت، بأيِّ ذنبٍ قُتلت**﴾ [التكوير: ٨-٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقد قرر الفقهاء أن الرجل يُقتل بقتل المرأة عمداً دون شبهة، كما يُقتل بقتل الرجل على مثل ذلك.

وقال تعالىٰ في شأن الزوجات: ﴿**ولهن مثلُ الذي عليهن بالمعروف**،

وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقال: ﴿***فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً*** ﴾ [النساء: ٣٤].

وذكر القرآن الكريم أنَّ العدوان على عِرْض المرأة بتهمتها بالزنى دون دليل شرعي يعرض المتَّهم لها ـ كالرجل سواء ـ لعقوبة لا تستطيع أن تقررها قوانين الأرض، ولو كان واضعها النساء، قال الله تعالى: ﴿***والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون*** ﴾ [النور: ٤].

إنها عقوبة تنقض إيمان القاذف، وتخدش كرامته، وتذل ظهره.. ومن تاب تاب الله عليه، لكن لا يسقط عنه جلد ظهره..!

٤ ـ المساواة في الإيمان بالله تعالى والتكاليف الشرعية والجزاء على ذلك:

على حين اجتمع ما كون في القرن السادس للبحث في الموضوع التالي:

هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه، أم هي جسم وروح؟ وقرر أخيراً أن المرأة خُلْوٌ من الروح الناجية «من عذاب جهنم» ما عدا أمَّ المسيح. جاء الإسلام ليقرر المساواة بين الرجل والمرأة في الإيمان، والعمل، والجزاء على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿***إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهن والحافظات، والذاكرين الله كثيراً***

والذاكرات، أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال سبحانه: *﴿مَنْ عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾* [النحل: ٩٧].

وقال: *﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾* [غافر: ٤٠].

وقال: *﴿فاستجاب لهم ربهم أنِّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بعضكم من بعض..﴾* [آل عمران: ١٩٥].

فالمرأة مخلوق مستقل من حيث المسؤولية عن العمل، كما أنَّ الرجل كذلك، وكلٌّ مكلف استقلالاً بتكاليف الشريعة - إلا ما استثنى فيه أحدهما - وله أجره على قيامه بها أمر الله تعالى دون مضاعفة الأجر لأحدهما دون الآخر، وعليه وِزْره على إقدامه على معصية الله تعالى دون تسجيل الذنب لأحدهما دون الآخر.

﴿فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذَرَّةٍ شراً يره﴾ [الزلزلة: ٨-٩].

٥ - المساواة في التربية والتهذيب:

على حين كانت المرأة من سَقَط المتاع عند العرب وليس لها وزن ولا قَدْر، جاء الإسلام يحضُّ على تربية البنات وتهذيبهن، كما يحض على تربية البنين وتهذيبهم.

قال الله تعالى: *﴿يا أيُّها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وقودها*

الناس والحجارة، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦].

وقال ﷺ: «*ما نَحل والد ولده من نِحْلة أفضل من أدبٍ حسن*» أخرجه الترمذي.

وقال ﷺ: «*ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما؛ إلا أدخلتاه الجنة*» رواه ابن ماجه.

وقال: «*من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهنَّ، فله الجنة*» رواه الترمذي.

وفي رواية أبي داود «... *فأدبهنَّ وأحسن إليهنَّ وزوّجهنَّ فله الجنة*».

٦ ـ المساواة في العلم الواجب العيني والكفائي منه:

على حين كان الألمان يقولون: إن خزانة الملابس هي مكتبة المرأة، جاء الإسلام يحض على تعليم المرأة وتعليم الرجل سواء بسواء.

فالمرأة مكلَّفة بالإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده، ومكلَّفة بطاعة الله تعالى في فعل أمره واجتناب نهيه، ولا يكون ذلك منها إلا بالعلم.

والآية التي تقول: ﴿*وقُلْ ربِّ زدني علماً*﴾ [طه: ١١٤]، آية يقرأها الرجل والمرأة، ويدعو بها الرجل والمرأة على حدٍّ سواء.

وحديث رسول الله ﷺ: «*طلب العلم فريضة على كل مسلم*» رواه ابن ماجه، يشمل المرأة والرجل على حدٍّ سواء.

قال رسول الله ﷺ: «.. ***وأيما رجل كانت عنده وليدة فعلَّمها، وأحسن تعليمها، وأدَّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوَّجها؛ فله أجران***».

ولقد كانت المرأة تحضر الصلوات مع رسول الله ﷺ متستِّرة غير متبرِّجة بزينة، وتحضر دروسَه وعِظاتِه، تسمع خطبه في الجمعة والعيدين، وكأنَّ ذلك كان لا يكفيها لما لها من حاجة إلىٰ دروس خاصة في قضايا تتعلق بها خاصة.

فلقد جاءت امرأة إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك ـ انفردوا به ـ فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه، تعلِّمنا ممَّا علمك الله، فقال: «***اجتمعن يوم كذا وكذا***» فاجتمعن، فجاء رسول الله ﷺ فعلَّمهن ممَّا علمه الله تعالىٰ. أخرجه مسلم.

ولئن كانت زوجات رسول الله ﷺ قد تلقَّين عنه الكثير من فهم القرآن وأحكامه، وكثيراً من حديثه: قوليِّه، وفعليِّه؛ فلقد كلف رسول الله ﷺ أمَّ الشِّفَاء أن تعلِّم بعض نسائه ﷺ الكتابة.

قال عروة بن الزبير في خالته عائشة رضي الله تعالىٰ عنهما: «***ما رأيت أحداً أعلم بفقه، ولا بطبٍّ، ولا بشعر، من عائشة رضي الله تعالىٰ عنها***».

لقد أقبلت المرأة المسلمة علىٰ العلم منذ أكرمها الله تعالىٰ بالإسلام.. كثيرة تلك الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين عنه ﷺ، وكثيرة تلك الأقوال المنسوبة إليهن في التفسير وفقه الحديث، وكثيرات هُنَّ النساء اللاتي حفظنَ كتاب الله تعالىٰ أو حفظن كثيره، وحفظنَ الكثير من حديث

رسول الله ﷺ وكن يحدثن الرجال به من وراء حجاب.

ولقد وُجد علىٰ مرّ القرون نساء تجاوزن علوم فرض العَيْن إلىٰ فروض الكفاية، فكانت منهن المحدِّثات العظيمات والراويات الثِّقات، فمنهن مثلاً كريمة المروزية، وسيدة الوزراء، وكانت من أهم راويات الأحاديث التي جمعها البخاري، وذكر ابن عساكر أن عدد شيوخه من النساء كان بضعاً وثمانين امرأة.

٧ ـ المساواة في الأخلاق من طهارة القلب والقصد واللسان والجوارح:

علىٰ حين كان اليونان يقولون عند كل جريمة: فتش عن المرأة، ويقولون: إن المرأة روح خبيثة، جاء الإسلام يحض المرأة علىٰ كمال الأخلاق كما يحض الرجل سواءً بسواء، لأن المجتمع عنصراه: الرجل والمرأة.

قال الله تعالىٰ: ﴿*فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحداً*﴾ [الكهف: ١١٠]، والآية تشمل كل من يرجو ثواب الله تعالىٰ في الآخرة رجلاً كان أو امرأة.

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ أنا وحَفْصة أنْ أيّتُنا دخل عليها النبي ﷺ، فلْتَقُلْ: إني أجد منك ريح مغافير أكلتَ مغافير؟ فدخل علىٰ إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «**لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود**..» أخرجه البخاري، وفي هذا نزلت آيات سورة

التحريم ﴿**يا أيُّها النبي لم تُحَرِّمُ ما أحلَّ الله لك . .**﴾ [التحريم : ١] .
وفيها خطاب عائشة وحفصة : ﴿**إنْ تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما ، وإنْ تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهيرٌ**﴾ [التحريم : ٤] .

وما دفعهما إلىٰ ذلك إلا الغَيْرة من زينب ـ وكانت جميلة ـ رضي الله تعالىٰ عنهن ، وحين غارت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وقالت في صفيَّة بنت حُيَيٍّ : «حسْبُك من صفية أنها كذا» ـ تعني قصيرة ـ قال لها ﷺ : «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لأنتنته**» أخرجه أبو داود والترمذي .

وقال الله تعالىٰ : ﴿**ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك علىٰ أنْ لا يُشركنَ بالله شيئاً ، ولا يسرقنَ ، ولا يزْنينَ ، ولا يقتلنَ أولادهنّ ، ولا يأتينَ ببهتان يفترينه بيْنَ أيديهنّ وأرجلهنّ ، ولا يعصينك في معروف ، فبايعهُنَّ ، واستغفر لهنَّ الله**﴾ [الممتحنة : ١٢] .

فالمرأة كالرجل مسؤولة عن قلبها من حيث الإيمان أو النفاق ، أو الإخلاص والرياء ، وعن لسانها من حيث الصدق أو الكذب وحفظ اللسان أو التهجم علىٰ أعراض الناس به ، ومن حيث الطاعة والمعصية ، والوقوف عند حدود الله ، أو مجاوزتها إلىٰ ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه ـ معاذ الله ـ .

٨ ـ المساواة في العقوبات المحدودة منها وغير المحدودة :

لما كانت المرأة مثل الرجل من حيث التكاليف الشرعية ؛ فقد أصبحت في الإسلام مثل الرجل في تحمُّل مسؤولية نفسها في العقيدة والقول والفعل .

يقوم الإسلام علىٰ كلِّيات ستٍّ هي عموم ما جاء فيه، وما سواها روادف لها ومؤيداتٌ أو حدود لحمايتها وقيود.

وقد فرض الله تعالىٰ عقوبات محدودة ـ وتسمىٰ حدوداً ـ علىٰ من يعتدي علىٰ كليَّة من تلك الكليَّات، رجلاً كان المعتدي أو امرأة.

وجعل عقوبة العدوان علىٰ مؤيِّدات تلك الكليَّات أو حدودها إلىٰ رأي الدولة وحكمها، كالغش في المعاملات وشهادة الزور، وهي عقوبات تتبدل بتبدل المصلحة في رأي الدولة، وتسمَّىٰ (تعازير).

وتلك الكليات الست هي:

أ ـ حفظ الدين:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل على المرتد عن الإسلام، بعد استتابته، ودفع شبهاته، وإمهاله إلىٰ ثلاثة أيام.

قال رسول الله ﷺ: ***«لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث: زنىً بعد إحصان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»*** أخرجه البخاري.

ب ـ حفظ المال:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة قطع اليد اليمنىٰ من الرُّسُغ لمن أخذ مال غيره من حِرْزٍ خُفْية دون شبهة أو حاجة ظاهرة.

قال الله تعالىٰ: ***﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كَسَبا، نكالاً من الله، والله عزيزٌ حكيم﴾*** [المائدة: ٣٨].

ج ـ حفظ العقل:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة الجَلْد ثمانين جَلْدة على من شرب مسكراً قصداً وظهر أمره للناس.

كان رسول الله ﷺ قد جلد في شرب الخمر أربعين، وثمانين ـ على قول ـ فلما كان أيام عمر رضي الله عنه جمع الصحابة فشاورهم في توحيد حدِّ الشُّرب، فتكلم عليّ أول من تكلم وآخر من تكلم، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ الرجل إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحدّ الفرية ثمانون.

فأقره عمر ومن حضر رضي الله تعالى عنهم وقام على ذلك إجماع المسلمين.

د ـ حفظ العرض:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة الجلد مائة جلدة لمن زنى باختياره دون شبهة وكان عزَباً، وعقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت لمن زنى باختياره دون شبهة وكان محصناً.

قال الله تعالى: ﴿***الزانية والزاني فاجلدوا كُلّ واحد منهما مائة جَلْدة، ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين***﴾ [النور: ٢].

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا في الأعرابيَّيْن اللَّذين أتيا رسول الله ﷺ. فقال أحدهما: يا رسول الله، إن ابني هذا كان عسيفاً ـ يعني أجيراً ـ على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة،

فسألت أهل العلم فأخبروني أنَّ علىٰ ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن علىٰ امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله تعالىٰ: الوليدة والغنم رَدٌّ عليك، وعلىٰ ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغدُ يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلىٰ امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»** أخرجه البخاري ومسلم.

ومن أجل حفظ العرض حدَّد الإسلام عقوبة الجلد ثمانين جلدة لمن اتَّهم المؤمنة العفيفة والرجل العفيف بالزنىٰ، رجلاً كان المتهم أو امرأة.

قال الله تعالىٰ: **﴿والذين يرْمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون﴾** [النور: ٤].

هـ ـ حفظ النفس:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل لمن قتل نفساً بشريَّة باختياره دون حقٍّ أو شبهة.

قال الله تعالىٰ: **﴿ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب لعلَّكم تتقون﴾** [البقرة: ١٧٩].

و ـ حفظ الأمن:

وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل، أو قطع اليد اليمنىٰ مع الرجل اليسرىٰ، أو النفي من البلاد ـ وإن شاء السجن ـ لمن يحارب الله ورسوله، ويسعىٰ في الأرض فساداً، ويروِّع المؤمنين بالقتل أو أخذ المال، أو الإعداد لذلك، قال الله تعالىٰ: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون**

في الأرض فساداً، أن يُقتّلوا، أو يُصلّبوا، أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو يُنفوا من الأرض، ذلك لهم خِزْيٌ في الدُّنيا، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ [المائدة: ٣٣].

٩ ـ المساواة في العمل بالإسلام والعيش به:

ولَمَّا كانت المرأة مكلَّفة بالإيمان والعمل بالإسلام، فهي مثل الرجل مكلَّفة بحفظ الإسلام والعمل به والدعوة إليه.

أرأيتَ كيف كان أول إنسان أسلم: امرأة، هي خديجة رضي الله تعالىٰ عنها، أرأيت كيف عملت علىٰ حفظ الإسلام حين قوَّت من قلب رسول الله ﷺ لَمّا حدَّثها بالوحي، وقال لها: «*لقد خشيت علىٰ نفسي*» فقالت: «كلَّا، والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصلُ الرَّحم، وتقري الضيف، وتحمل الكَلّ، وتُعين علىٰ نوائب الدهر»، ثم أخذته إلىٰ ابن عمها ورَقَة بن نوفل، فقال له ورقة بعد كلام: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسىٰ عليه السلام من قبل.

أما رأيت كيف كان أول من قُتِل في الإسلام ياسر وزوجُه سُميّة رضي الله تعالىٰ عنهما، أما رأيت زِنِّيرة التي كان يضربها الفاجر أمية بن خَلَف، حتىٰ إذا فقدت بصرها قال لها المشركون: إنَّ الأصنام هي التي ذهبت ببصرك، قالت: لا والله إن الذي ذهب ببصري قادر على أن يعيده إليّ، فأعاد الله تعالىٰ إليها بصرها.

وهناك أمثلة كثيرة منثورة في كتب السيرة، والتراجم، تدل جميعها علىٰ أن المرأة المسلمة جاهدت في سبيل حفظ الإسلام في قلبها، والعيش به، وتبليغه إلىٰ الناس.

ذلك لأن الإسلام دين الله تعالى، والرجل والمرأة من عباد الله تعالى.

١٠ ـ المساواة في حق الميراث :

على حين كانت طوائف من اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في بيعها وهي قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا كانت بالغة، أو إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وعلى حين كان العرب يحرمون المرأة من الميراث، بل يرثون زوجات آبائهم كما يرث أحدهم متاعهم ـ جاء الإسلام ليقرر حق المرأة في الميراث ـ عند وجود أسبابه ـ كالرجل.

قال الله تعالى: ﴿*للرجال نصيبٌ ممَّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ ممَّا ترك الوالدان والأقربون، ممَّا قلّ منه أو كَثُر، نصيباً مفروضاً*﴾ [النساء: ٧].

١١ ـ المساواة في الأقارير والعقود والتصرفات :

على حين كانت المرأة في ولاية الأب الكاملة، ثم الزوج ولا يحق لها التصرف بمالها، وكانت المرأة في فرنسا إلى وقت قريب موضوعة تحت وصاية زوجها فلا تنفرد بالتصرف في أموالها الخاصة، جاء الإسلام ليقرِّر المساواة بين الرجل والمرأة في الأقارير على التصرفات القولية والمالية من: التبرع، والصدقة، والدِّين، والوقف، والبيع والشراء، والوكالة، والكفالة، والقتل، والسرقة، وأمثال ذلك لا فرق في شيء من هذه التصرفات بين الرجل والمرأة، ولا يُتوقف شيء من تصرفاتها على موافقة الأب أو الزوج طالما أنها راشدة بالغة.

وإليك ما يقول الأستاذ زهدي يكن في كتابه «الزواج»: فالزوجة

الفرنسية لا يمكنها أن تتصرف بأموالها الخاصة، ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانتفاع للزوج، ولا يمكنها أن تتصرف بالرقبة ـ أصل البيت ـ هِبَة أو بيْعاً مثلاً، إلا بإجازة الزوج، وإذنُ المحكمة وحده لا يكفي.

عن أبي شريح رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «*اللهم إني أُحرِّجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة*» أخرجه النسائي.

ومعنى «أحرِّجُ»: أُلحق الحرج، أي الإثم بمن ضيَّع حقهما، وأحذِّر من ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً.

المهر
هدية التكريم للمرأة

يدور على الألسنة لغط كثير حول «المهر» ولا يكاد يخرج الناس من عقد زواج إلا وهم يتحدثون عن المهر، وكم بلغ من الأرقام القياسية. . . !؟

كأنما خرجوا من حلبة سباق أو مزايدة؟!

المرأة ليست سلعة في سوق الزواج، فالزواج ليس تجارة كي نسلك فيه المنهج التجاري، ونقول بطريق الإيحاء: استغلوا من الزواج رأسمال للمرأة.

إن المهر عطية محضة فرضها الله للمرأة، ليست مقابل شيء يجب عليها بذله إلا الوفاء بحقوق الزوجية، كما أنها لا تقبل الإسقاط ولو رضيت المرأة إلا بعد العقد، وهذه الآية تعلن على الملأ.

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء: ٤].

فالمهر صدقة أي عطية، وهو نِحلة مبتدأة، ومنحة صِرْفة، ليست ثمناً للمرأة ولا للتمتع بها، فإن المرأة تنال من الرجل ما ينال الرجل منها.

إن المهر حق مفروض للمرأة، فرضته لها الشريعة ليكون تعبيراً عن رغبة الرجل فيها ورمزاً لتكريمها وإعزازها، وقديماً صرح الفقهاء بقولهم: «المهر فرض شرعاً لإظهار خَطَر المحل». ولقد حرست الشريعة للمرأة هذا الحق فحرمت على أي إنسان أكله أو التصرف في بغير إذنها الكامل ورضاها الحقيقي.

وإن ما نراه اليوم من استبداد بعض الآباء بمهور بناتهن؛ أو استيلاء بعض الأشقاء على مهور أخواتهن، لهو تكبر جاهلي على الحق يغمط المرأة، ويتنكر لحقوقها، مضاد لدين الله وشريعته.

لكن الذين أعمتهم العصبية لأوربة، وعبدوها بفكرهم وقلوبهم لا يروق لهم أن يجدوا في ذخائر تراثهم وشريعة أمتهم ما تطمح إليه الأبصار، وتهفو نحوه القلوب، فإذا مروا بمثل هذا التكريم والإعزاز للمرأة حاولوا الغضّ منه حيث عجزوا عن الطعن فيه.

وأعجب شيء في هذا ما فعله كاتب في مجلة تصدر في بلد عربي، في جوابه لبعض السيدات وقد عرضت عليه مشكلتها مع زوج ثري، تزوجها بزعمها على غير رضاها وهي خريجة كلية الحقوق! ثم حظر عليها الخروج لمزاولة مهنة المحاماة...؟! فلفق الكاتب على لسان السيدة أن زوجها الثري يزعم أنه اشتراها بماله...؟ أتدري لماذا؟ لكي يتوصل هذا الكاتب بذلك إلى الغضّ من هذه الفريضة الإسلامية التي شُرِعَت تكريماً للمرأة وضماناً لها.

إن إلغاء المهر فضلاً عن كونه دعوة غير واقعية في مجتمعنا فإنها لن تؤدي إلا إلى مزيد من التعقيد الاجتماعي يتجلى في حالين:

إما أن يسير الناس علىٰ ما تقرره نظم أوربا حيث تفرض معظم النظم علىٰ المرأة هناك أن تقدم بعض المال للرجل وتُكلّف هي بإعداد المنزل من مالها.. نعم من مال المرأة..!!

وهذا معناه أنه لا تزوج المرأة إلا إذا كانت ذات مال، أو تضطر لمعاناة مشقات الحياة ونكد الدنيا، لتحصيل نفقات الزواج، ومعناه أيضاً أن نغضّ من كرامة المرأة ونضطرها أن تسعىٰ إلىٰ الرجل تطلب يده، فنفرض عليها أن تمزق حجب الحياء والخفر الذي هو زينة أخلاق المرأة، وميزان أصالتها...

ولقد حدثني الكثير من الأصدقاء الذين درسوا في البلاد الأجنبية عما أدت هذه العادة الأوربية من أسوء الآثار، حيث تضطر الفتاة إلىٰ السعي الحثيث في نشاط اجتماعي واسع بين الشباب في سبيل الظفر بالزوج، يعترضها خلال ذلك الذئاب المخادعون ينالون منها وطرهم ثم يولون مدبرين...!!

وإما أن نرجع إلىٰ ما كانت عليه الجاهلية البائدة بسبب إلغاء المهر من المقايضة بين النساء، وهو ما يتبع الآن في بعض البيئات الجاهلة، حيث يعمدون إلىٰ المقايضة بين النساء، في سبيل توفير المهر، وهو المسمىٰ «نكاح الشغار» يزوج الرجل ابنته أو أخته لشخص مقابل أن يزوجه ذلك الشخص ابنته أو أخته، ليس بينهما مهر غير هذا.

وقد حرم الإسلام هذا الزواج، وزجر عنه كما في الحديث الصحيح «***نهى رسول الله ﷺ عن الشغار***» رواه البخاري ومسلم، لأنه من التقاليد

التي تنظر للمرأة باحتقار وازدراء، وتعتبر سلعة، كالمواشي التي يقتنيها البدوي فيبيعها أو يقايض بها إن شاء.

المهر حق المرأة:

إننا نرفض الدعوة إلىٰ إلغاء المهر، لأننا لا نقبل التفريط فيما شرع الله من تكريم المرأة وإعزازها، كما أننا في نفس الوقت نرفض الاعتبارات التجارية التي تسيطر علىٰ أفكار طائفة من الناس وطائفة من السيدات، إذ يؤدي إلىٰ التغالي في المهور الذي يئنُّ منه مجتمعنا، ويرزح تحت أعبائه شبابنا وفتياتنا علىٰ حدّ سواء.

إن المهر هدية تُعطىٰ للمرأة، فهل يقتنع العقل قط أن المُهدىٰ إليه يشارط فيها، ويكلف صاحبه من أمره شططاً.

لقد علمتنا السنة النبوية وصدّقتها الحياة أن استقامة الحياة الزوجية، أكثر ما تتوفر باليسر في المهر وتكاليف الزواج، هذا رجل سأل النبي ﷺ أن يزوجه امرأة.

فقال ﷺ: «*فهل عندك من شيء؟*».

فقال: لا والله يا رسول الله.

قال: «*اذهب إلىٰ أهلك فانظر هل تجد شيئاً*».

فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ: «*انظر ولو خاتماً من حديد!*».

فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري ـ قالَ: ما له رداء ـ فلها نصفه!.

فقال رسول الله ﷺ: «*ما تصنع بإزارك، إن لَبِسْتَه لم يكن عليها منه*

شيء، وإذا لَبِسْتَهُ لم يكن عليك منه شيء».

فجلس الرجل حتىٰ إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ مُولياً، فأمر به فدعي له، فلما جاء قال:

«ماذا معك من القرآن».

قال: معي سورة كذا وكذا عدَّدها.

فقال: ***«تقرؤهن عن ظهر قلب»***؟

قال: نعم.

قال: ***«اذهب فقد ملكتُكها بما معك من القرآن»*** رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ***«إن من يُمْن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»*** رواه الإمام أحمد والحاكم.

كيف نعالج غلاء المهر؟!

ولقد يظن بعض الناس أن هذا أمر يمكن علاجه بوضع قانون يحد من المبالغة في المهر، إلا أن الواقع أن القوانين لن تفلح في هذا ما دامت روح المجتمع تميل إلىٰ التغالي في المهور.

يجب أولاً أن نربي في المجتمع معاني الأمانة علىٰ الحقوق كي يطمئن الناس علىٰ مستقبل بناتهم، وتطمئن النساء إلىٰ أزواجهن.

ويجب ثانياً أن نحُوِّل تيار المجتمع إلىٰ الاتجاه المعاكس، أعني إلىٰ التفاخر بتيسير المهور وأثاثات البيوت.

إن التقاليد الاجتماعية والأعراف يصنعها أفراد قلائل يتمتعون في نظر

الناس بالمكانة العالية، فلو أن أفراداً من هذه الطبقات عملوا بهذه السنة لقلدهم فيها الناس.

كم من أساتذة جامعيين يئنون من غلاء المهور فإذا تزوجوا أو خطب إليهم لم يتوقفوا لحظة عن المغالاة فيها.

وكم من وزراء وزعماء تزوجوا ـ أو زوجوا بناتهم ـ فإذا مهور نسائهم تبلغ من الآلاف أرقاماً لا تسبق؟!

ماذا لو أن أحدهم عمل بما يدعو الناس إليه من عدم التغالي في المهور، وأذيع عقد النكاح بأجهزة الإعلام مع تقدمة مناسبة؟ أليس مثل هذا يحيي روح التعقل والحكمة ويكف من نهم الطامعين...

لقد كان زعماء المجتمع الإسلامي يفعلون هذا، فعمر بن الخطاب يحذر الناس من التغالي في المهور.

ولم يتراجع عمر عن هذا التحذير، إنما رجع عن تهديده بأخذ ما زاد إلى بيت المال...!

وسعيد بن المسيب من كبار علماء التابعين يزوج ابنته لتلميذه ابن أبي وداعة على درهمين، وقد خطبها الخليفة لولي عهده بزنتها ذهباً...!! فأبى!

والإمام السمرقندي الفقيه الحنفي صاحب كتاب تحفة الفقهاء، شرح تلميذه علاء الدين الكاساني «تحفته» فزوجه ابنته.

وغير هؤلاء من عظماء الإسلام كثيرون في كل عصر من عصور تاريخنا

الإسـلامي يضربون المثل للناس في تقدير القيم العالية لدى الشاب الخاطب، ويغرسون هذه الروح في نفوس الناس.

فيا أيها الآباء والأمهات، ويا أيها المصلحون والمفكرون، ويا أصحاب المكانات الاجتماعية الرائدة لن يكفينا منكم التذمر والشكاية ما لم تسعوا بتصرفاتكم لتغيير هذا التيار الاجتماعي الفاسد، وما لم تزيحوا من طريق الفضيلة وبناء الأسرة السعيدة عقبات التغالي في المهور، والتفاخر بالأثاث والقشور، ﴿*إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض*﴾.

اختيار الزوجة الصالحة

البيت المتوافق هو البيئة الصالحة للطفل المتوازن عقلياً وسلوكياً ونفسياً ودينياً، والأب والأم المتفاهمان ينشئان أطفالاً يحوطهم الحنان والرعاية ولذا عدت الزوجة التي تحقق الغاية المرجوة من الزوجية آية من آيات الله يمتنّ بها علىٰ عباده، وآيات الله الكونية المنبثة في كونه لا يقدر عليها سواه، وكذا آياته الإنسانية، ومنها تأليف قلب مع قلب، ونفس مع نفس، وعقل مع عقل، يقول تعالىٰ: ﴿***ومن آياته أنْ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون***﴾ [الروم: ٢١].

ولا يقدر علىٰ نقل تراث الأمة من جيل إلىٰ جيل إلا الأسرة، ولكن أية أسرة؟ إنها الأسرة التي قطباها رجل وامرأة صالحان، يعرفان الحكمة من اجتماعهما ويدركان وظيفتهما في الحياة ولذا كان من رعاية الإسلام للصغار حرصه علىٰ مجيئهم للحياة من أصول طيبة، بها يفخرون، ولا يعيرون، وفي مجال الحيوان والنبات تجرىٰ العادة في تحسين النسل صحياً وإنتاجاً علىٰ انتقاء السلالات وتحسين البذور عاماً بعد عام، واشتقاق بعضها من بعض، أفيكون مجال الإنسان أقل من مجالي الحيوان والنبات؟

إن الأرحام كالأرض الطيبة إذا طابت طاب زرعها وأينع أحلىٰ الثمار، ومن أجل ذلك لم يترك الإسلام اختيار الزوجة للهوىٰ العارم أو الرغبة

الجامحة، فسيطرة الهوىٰ والرغبة تجنح بصاحبها عن نبل الغاية، وشرف المقصد، من وراء بناء البيت، وكما قيل: ما سُمي الهوىٰ هوىً، إلا لأنه يهوي بصاحبه، كما أن الحبّ المجرد من الدافع الديني أو العقلي يعمي ويصم الآذان عن سماع صوت الناصح.

وكم من فتيات خلب لبهن مظهر شاب بلا دين أو خدعهن بريق ثروة لا يدرين من أين أتىٰ بها صاحبها، فاندفعن إلىٰ المظهر أو الثروة، ثم سرعان ما ظهرت الحقيقة، وانكشف قناع الزيف، ولكن بعد فوات الأوان، ولذا حذّر الإسلام من الاغترار بزخرف القول والعمل وأبان أنه رُبّ خلي من المظهر حريٌ بأن تستجاب دعوته، وربما يكون غيره لا قيمة له، يقول ﷺ: «***رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره***» رواه مسلم.

ويقول: «***تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش...***» رواه البخاري.

ويدعو علماء التربية الإسلامية إلىٰ أن تبدأ التربية من اختيار الزوجة فإن من أولىٰ أساسيات التربية الإسلامية الحقة اختيار الزوجة الصالحة، التي تمثل المحضن الدافىء للطفل، ومنها يتلقىٰ الخلق والدين لأنه يقتدي بها ويلازمها سني حياته الأولىٰ.

كما يدعو علماء الاجتماع إلىٰ أن تكون العلاقة داخل الأسرة علاقة مشاركة وتكامل فهذا أدعىٰ لشيوع جو الحبّ والوئام، فإن العلاقة في الأسرة علاقة مشاركة واندماج، وحنان ومجاملة يتفانىٰ فيها كل من الرجل

والمرأة في إسعاد الآخر، ويتفانيان معاً في إسعاد أبنائهما.

ولم يترك رب العزة مواصفات المرأة التي توجب أن تكون أماً صالحة للهوىٰ، وإنما حدّدها في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿***وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله***﴾ [النور: ٣٢]. والآية تومىء إلىٰ تزويج الصالحين ولو كانوا فقراء والتجافي عن الفاسدين ولو كانوا أثرياء، وفضل الله أولىٰ بنواله أهل الفضل والتقوىٰ فإن منع عنهم فليختبرهم الله سبحانه وتعالىٰ وهم أولىٰ بالنجاح من أهل القنوط والتعجل والفساد.

وفي قوله سبحانه: ﴿***ولا تَنكحوا المشركات حتىٰ يؤمنّ، ولأَمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم***﴾ [البقرة: ٢٢١].

فعلى الرغم مما بين الحرية والرّق من فروق تمنح الحرة أهلية التملّك والتكسّب وملكها لنفسها.. إلخ وتُحرم الأمة من كثير من مزايا الحرة وحقوقها ومنها أن ولدها يتبعها في الرق والحرية فإن الأَمةَ المسلمة خير من الحرّة المشركة، ومعنىٰ الآية أن «الأمة المؤمنة علىٰ ما بها من خساسة الرّق وقلة الخطر خير من مشركة حرة، علىٰ ما بها من شرف الحرية ونباهة القدر، ولو أعجبتكم بجمالها ومالها، وسائر ما يوجب الرغبة فيها، إذ بالإيمان يكون كمال دينها، وبالمال يكون كمال دنياها، ورعاية الدين أولىٰ من رعاية الدنيا، إن لم يستطع الجمع بينهما، إلا أنه ربما حصلت المحبة والتآلف عند اتحادهما ديناً، فتكمل المنافع الدنيوية من حسن العشرة، وحفظ الغيب، وضبط الأموال والقدرة علىٰ تنشئة الأولاد تنشئة قويمة، وتهذيب أخلاقهم، حتىٰ يكونوا قدوة لسواهم.

ومن تتبع آيات القرآن الكريم نجد صفات المرأة المثالية، وبعض هذه الصفات متكرر في الآيات وبعضها ذكر بلفظ آخر كالقنوت والخشوع والإنفاق والتصدق وهذه الصفات يشترك معهن فيها الرجال وهي توضيح للمراد من الصالحين من العباد، والإماء الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿*الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار*﴾ [آل عمران: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿*إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمين، والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً*﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله تعالىٰ: ﴿*عسىٰ ربُّه إن طلقكنَّ أن يُبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً*﴾ [التحريم: ٥].

وفي هذا الإطار القرآني يختار الرجل شريكة حياته وأم أبنائه وبناته وكما قيل:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة
وتنبت إلا في منابتها النخل

فإذا ما انتقلنا إلىٰ السنة المشرفة وهي المصدر الثاني بعد القرآن للتشريع الإسلامي وجدناها:

١ـ تُقدّم الدين في المرأة علىٰ ما سواه.

٢ـ تجعل المرأة الصالحة خير متاع الدنيا.
٣ـ تحدد بعض صفاتها النفسية.
٤ـ تجعلها ربع السعادة الزوجية.
٥ـ ثلث شقاء الدنيا من المرأة السيئة.
٦ـ الرجل بابُها إلىٰ الجنة أو النار.
٧ـ لو جاز السجود لأحد غير الله لجاز للزوج.
٨ـ يمنع منعاً باتاً إذنها في بيت الزوج بدون إذنه، أو عزل فراشه أو ضربه، أو سؤاله الطلاق لغير سبب.

فإذا تساءلنا ولم كل هذا الكمّ الغفير من الصفات في الزوجة فإننا نجد الجواب في أنها أساس تربية النشء وهي كما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

وخير للمرء منذ البداية أن يختار الصالحة من أن يختار سيئة تميته كمداً فإن الطبع صعب تحوله خاصة في الكبر إلا لمن أراد الله لهن الهداية.

وسأسوق جملة من الأحاديث تحدد بعض الصفات التي أشرت إليها سلفاً ومنها:

١ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «***تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك***» رواه مسلم.

٢ـ وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «***الدنيا متاع، وخير***

متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

٣- وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: ***«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم، المرأة الصالحة والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»*** رواه أحمد بإسناد صحيح.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ، أي النساء خير؟ قال: ***«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره»*** رواه النسائي، بإسناد حسن.

وفي هذه الأحاديث تتبدىٰ ثمار الإيمان التي حضّ الإسلام علىٰ ابتغائها في أم الأبناء، فهي مطيعة عند الأمر وفي هذا ما فيه من آثار حسنة علىٰ تربية الأولاد، وهي نظيفة بشوش حاذقة لنظام البيت تجلب السرور للزوج، ولا يخفىٰ أن الزوج المسرور بسلوك زوجته في بيته يكون صدره فسيحاً لأولاده يرعاهم ويراقبهم ويسأل عنهم، ثم هي ليست محنثة زوجها في قسم أقسمه وهذا يجعل الأولاد يوقرون الأيمان فلا يخفرونها أو ينقضونها أو يستصغرون الحنث فيها ونشأة الطفل علىٰ هذا الخلق مما لا يخفىٰ دخلها الكبير في التزامه الخلقي والديني.

ثم هي ناصحة للزوج في نفسها وماله، مما ينشيء الأولاد علىٰ احترام العرض والحفاظ علىٰ المال دون رقيب من والد أو غيره، وهذا هو المبتغىٰ من المؤمن الصالح الذي يحرسه ضميره وتحجزه عن الولوغ في الحرام مراقبته لربه، ولهذه الآثار الكريمة لاختيار المرأة الكريمة رغبنا رسول الله ﷺ: في التخير للنطف وقد ورد في الصحيح قوله ﷺ: ***«تخيّروا لنطفكم،***

***وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم*» رواه ابن ماجه.

التحام أئمة المسلمين بالمجتمعات التي عاشوا فيها أكسبهم معرفة بالحسن والسيء من صفات الناس وكان ضمن معارفهم الصفات التي تُتجنب المرأة من أجلها، ومن أصحاب النظرات الثاقبة في هذه المسألة الإمام الغزالي وقد ذكرت بعض الصفات التي يرغب في المرأة لأجلها وهنا أذكر بعض الصفات التي تكره المرأة بسببها وهي علىٰ الجملة:

بذاءة اللسان، وإدامة النظر لما في يد غيرها ممن هن أكثر ثراء منها، وكونها ذات تجربة سابقة في زواج، أو شديدة الاهتمام بزينتها، أو متعالية علىٰ زوجها معايرة له بما تسديه إليه أو يسديه إليه أهلها وفي ذلك يقول الإمام الغزالي «الثانية: حسن الخلق ـ أي مما يرغب في المرأة لأجله ـ وذلك أصل مهم في طلب الفُراغة، والاستعانة علىٰ الدين، فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان، سيئة الخلق كافرة للنعم، كان الضرر منها أكثر من النفع، والصبر علىٰ لسان النساء مما يمتحن به الصالحون.

وقد قال بعض العرب:

لا تنكحوا من النساء ستة: الأنّانة والحنّانة والمنّانة والحدّاقة والبرّاقة والشدّاقة فأما:

الأنّانة: فهي التي تكثر الأنين والتشكي، وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح المراضة أو المتمارضة لا خير فيه.

والمنّانة: التي تمن علىٰ زوجها فتقول: فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحدّاقة: التي ترمي إلىٰ كل شيء بحدقتها، فتشتهيه، وتكلف زوجها

شراءه.

والحنّانة: التي تحن إلىٰ زوج سابق، أو إلىٰ ولدها منه وهذا مما يحسن تجنبه.

والبرّاقة: تحتمل معنين. أن تمضي نهارها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون له بريق بالصنع أو أن تغضب علىٰ الطعام.

والشدّاقة: المتشدقة بالكلام الكثيرته، ولا يخفىٰ بغض من تتصف من النساء بهذه الصفات علىٰ أحد.

ورویٰ عن السائح الأزدي أن ناصحاً نصحه، فقال له: لا تنكح أربعاً: المختلعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز.

فالمختلعة: هي التي تطلب الخلع وهو فسخ الزواج علىٰ مال تدفعه أو مهر ترده للزوج دائماً من غير سبب.

والمبارية: المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا.

والعاهرة: الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن، وهي التي قال فيها الله تعالىٰ: ﴿***ولا متخذات أخدان***﴾ [النساء: ٢٥].

والناشز: التي تعلو علىٰ زوجها بالفعال والمقال، والنشز العالي من الأرض.

ولو أننا تصورنا مجرد تصور بيتاً فيه امرأة فيها صفة أو أكثر من الصفات السابقة لرأينا بيئة شديدة السوء لأطفال يعيشون في ظلها، فرؤية الأولاد الأم دائمة الشكوىٰ لسبب ولغير سبب مما يسوّد الحياة في وجوههم ولربما

نقل طبعها إلىٰ طباعهم، وسماعهم أمهم تمنّ علىٰ أبيهم أو تطلب منه أن يطلقها، أو تدخل بيتهم رجالاً في غيبة أبيهم. . . إلخ، كلها أمور تنقل العوج إلىٰ طباعهم وأخلاقهم لذلك صان الإسلام البيوت أن تكون محاضنها سيئة حتىٰ لا تنتقل عدوىٰ السوء إلىٰ النسل.

المؤدبة المحتشمة
خير من المتبرجة المستهترة

المكياج أو الأصباغ التي تزين بها المرأة نفسها من الزينة المحرمة، حتىٰ ولو ارتدت حجاباً ولم يظهر منها إلا الوجه والكفان، لأنه من الفتنة، ومن دواعي الفواحش. وهو في الحق امتهان لأمر المرأة نفسها لأنها تحاول جهدها الظهور بمظهر الجميلة الفاتنة ليشاهدها الناس، لقد خرجت المسكينة لتعلن عن نفسها.. فامتهنت نفسها وأوقفتها في مواقف الحرج وفي مواضع العطب!!

كما أعلم أيضاً أن كثيرات من واضعات المكياج، ومن متعودات الأصباغ، قد رأين فسرن في الدرب تحت اسم الحضارة أو التمدن.

ولهذه ولأمثالها أقول: إن التحضر الحقيقي، والتمدّن المتقدّم هو ما ليس فيه مخالفة لشرع الله، فالحق سبحانه وتعالىٰ يعلم أين يكون عباده؟ وبماذا يكون صلاحهم؟ وما يتسبب في إفسادهم؟

فالكياسة: أن نأخذ من التحضر ما نتقدم به علىٰ الأمم، أو ما يساعدنا علىٰ حياة أفضل، أو ما نغيّر به نظام معايشنا بحيث لا يكون علىٰ حساب منهج الله وشرعه.

والفطانة: إعمال العقل والفكر في الأشياء، فننظر إليها بعين الحقيقة

فلا نتركها كلها ولا نأخذها كلها، فكل شيء في الوجود منه الصحيح ومنه المعوج، والسيد من جنح إلىٰ الحق، ونبذ الباطل جانباً.

ربما تقول متسائلة: لكن قد أحل الإسلام الزينة للمرأة أمام زوجها؟ أقول نعم، زينة إنسانية بعيدة عن التزييف ولكن إن طلب الزوج أن تضع أصباغاً أو خلافها، فلا حرج عليها بشرط ألا يراها الآخرون، ونصيحة إلىٰ الفتيات اللاتي يرغبن في الزواج فيضعن الأصباغ والدهانات ويتطيبن بمختلف الروائح كي يكن موضع النظر، أقول لهن: إن عصرنا هو عصر العلم، والإنسان فيه غير إنسان الأمس، فهو اليوم يعلم المنطق في كل شيء ويدركه، فتعامله مع المادة، وإدراكه حقيقة الأشياء إدراكاً مادياً، جعله يحمل في نفسه الحق الذي عرفه، وإلىٰ جانبه تظهر رغبته في الحياة الحديثة التي لا يؤمن بكثير منها، ولكنه يسايرها رغبة في الترف والمتعة، ونزوعاً إلىٰ إخراج النفس من النكد والحزن بسبب مشكلات الحياة وعقباتها.

فانظري إلىٰ إنسان جاء ليشاهد راقصة تهز بطنها، وتتمايل بجسدها، فيصفق طرباً، ويهتز فرحاً، فإذا جاء إلىٰ نفسه ووضعها موضع الحق لعنها أشد اللعنات، فشباب اليوم ربما سار وراء فتاة متبرجة، متهتكة، ولكنه يرىٰ في نفسه أنها لا تستحق الزواج منه، يتعلق بهذه المؤدبة المحتشمة، فإن لم يجد فلينظر إلىٰ أقلهن تبرجاً، وأكثرهن التزاماً، وعندما سار وراءها أو غازلها، فقد قصد بذلك الترفيه والفرح.

فأنت إذا التزمت وابتعدت عن هذه الأصباغ، وضعت نفسك في موضع كريم، موضع الاحترام والتقدير، لن يتقدم إليك إلا رجل محترم مثلك، أليس الطيبون للطيبات؟

المرأة والاستقرار الأسري

إذا أردت المرأة أن تعيش في بيت سعيد، وأن تؤسس أسرة هادئة، فلا بد من توفر أمرين حتىٰ يكون لها ما أرادت.

أولا : موافقة الفطرة :

كان من رحمة الله سبحانه وتعالىٰ أن جعل السعادة في الأسرة والاستقرار لها منوط بالقيام بالوظائف والتكاليف التي وزعها علىٰ أفرادها، فإذا كان الرجل رجلاً وفي مكانه الصحيح قائماً بما عليه من واجبات، والمرأة امرأة وفي مكانها السليم من حيث الخلق والتشريع، وقائمة بما أوجب الله عليها. وكذلك الأبناء أبناء حقيقيون قائمون بما أوجب الله عليهم من طاعة لوالديهم وحب وتقدير لهم. إذا كان كل واحد من هؤلاء في مكانه الصحيح استقامت أحوال الأسرة فإذا اختل شيء منها اختل الآخر، فلو تأبت المرأة مثلاً أن تنجب أولاداً بدعوىٰ أن في هذا تعطيلاً لملاذها وشهوتها فإنها أول من تشقىٰ بذلك نفسياً وروحياً.

وإذا قامت الزوجة بهذا الذي خلقها الله سبحانه من أجله فإنها مع شقائها وتعبها ووهنها تسعد أيما سعادة، وليس هناك سعادة عند المرأة تعادل إحساسها بتحرك الجنين في أحشائها، وبصراخ الطفل نحوها، وبسهرها ليلة في جوار سريره، مع تعبها العظيم من كل ذلك، ولكن الله الرحيم جعل في هذه المشقات التي كتبها عليها كتابة كونية قدرية سعادة

نفسية هائلة وهذا الأمر نفسه متحقق في طاعة الزوجة للواجبات الشرعية التي كلفها الله بها.

فسعادة المرأة في طاعة زوجها، وترك رأيها لرأيه، وإذعانها أحياناً لرغباته، وإرضائها له فليس هناك أسعد من زوجة وفية مخلصة في كنف زوج بار مخلص عفيف، واليوم الذي تظن فيه المرأة أنها أصبحت نداً للرجل وأن رأيها يجب أن يكون قبل رأيه، وأن رأسها يجب أن تكون معادلة لرأسه ومن هنا تبدأ شقاوتها وتعاستها.

نخرج من كل هذا بفائدة هامة وهي أن نعلم جميعاً أن سعادتنا رجالاً ونساءً منوطة بأن نكون عند الأوامر الشرعية التي وزعها الله علينا، فالرجل السعيد في حياته الزوجية هو الرجل القائم بالواجبات التي كلفه الله بها والمطالب بالحقوق التي أعطاها الله له، والمرأة السعيدة هي المرأة القائمة بالواجبات التي كلفها الله بها والمطالبة بالحقوق التي منحها الله إياها، وأي إخلال أو اختلال لهذه الحقوق والواجبات الشرعية معناه الهدم للنظام الأسري وبالتالي الهدم للسعادة والاستقرار.

ثانيا: الحكمان عند الخلاف:

الزوج والزوجة قد يختلفان ويصل الخلاف إلىٰ نقطة لا يستطيعان علاجها بمفردهما، وهنا أمر الله سبحانه وتعالىٰ برد هذا الخلاف إلىٰ حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة، قال تعالىٰ: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً** خبيراً﴾ [النساء: ٣٥].

وذلك أن الفرد قد يملك القدرة أحياناً علىٰ حل مشاكل الآخرين ولكنه يعمى عن مشكلة نفسه، فمهما كان الرجل حكيماً عالماً فإنه في مشاكله الخاصة يكون أقل قدرة علىٰ الحل ولذلك نجد أن كثيراً من الناس ينجحون كثيراً في الصلح والتوفيق بين الناس، ولكنهم قد يفشلون أحياناً في حل مشاكلهم أنفسهم.

ولذلك كان واجب الاستعانة بالآخرين وخاصة المرأة يساعدها كثيراً أن ينوب عنها في حل بعض مشاكلها المعقدة مع زوجها أن تلجأ إلىٰ أب أو عم أو أخ يملك القدرة على فهم أمورها والوصول إلىٰ حلول لمشاكلها مع زوجها، فإذا عجز الزوج أن يصل مع زوجته إلىٰ حل مشكلة ما، فإن الواجب أن يرد هذه المشكلة إلىٰ حكم من أهله وحكم من أهلها.

والحكمة في اختياره من الأهل ألا تنتشر أسرار البيوت، وأن لا يعير الأبناء بما كان من أخلاق في الآباء، فاللجوء إلىٰ المحاكم والقضاة في كل مشاكل الزواج أمر في غاية الخطورة لأن علاقة الزوج بزوجته علاقة خاصة جداً، وتنشأ المشاكل كثيراً في هذه العلاقات الخاصة، ونشر هذه العيوب في المحاكم وأمام القضاة والشهود إنما هو فضح للأسرار، وكسر القلوب فحتىٰ لو تم الصلح أمام القاضي فإن المشكلة ستبقىٰ لأنه ولا بد أن يخرج إلىٰ الناس أسراراً كان يجب كل من الزوج والزوجة أن تظلا مخفية ولذلك كان من رحمته وإرشاده سبحانه وتعالىٰ أمرنا بدعوة الحكمين عند الخلاف المستعصي.

والأمر في بعث الحكمين عند الخلاف هو خطاب للزوجين، وقال آخرون بل خطاب لولي الأمر، وقول ثالث إنه خطاب للمؤمنين الذي

يطلعون على ما حدث بين الزوجين من خلاف، والصحيح أنه خطاب عام وذلك أن استقرار الزواج لا يهم الزوجين فقط وإنما يهم ولي الأمر، لأن هذا من شئون الرعية التي استرعاه الله إياها، ويهم كل مسلم لأن المؤمنين كالجسد الواحد ولا بد أن تفزع إذا اشتكى عضو، وشقاق الأزواج من أعظم الآلام والمشاكل ولذلك كان لا بد من الاهتمام به، ولا شك أن مشاكل الزوجين تهمهما أولاً ولذلك وجب عليهما في المقام الأول أن يلجأ إلى الحكمين إذا تعذر عليهما الحل وبهذه الضمانة تبقى الأسرة الإسلامية في إطارها الصحيح من الاستقرار والثبوت ونستطيع أن نلخص هذه القواعد فيما يأتي:

١ ـ أن يؤدي عقد الزواج بشروطه كما أمر الله سبحانه وتعالى من رضا وشهود، وولي، ومهر، وكفاءة وغير ذلك من شروط.

٢ ـ أن نمتنع عن كل ما يبطل هذا العقد كفقد شرط من الشروط السابقة أو نلجأ إلى نكاح محرم كنكاح الشغار والتحليل والنكاح المؤقت.

٣ ـ أن نحذر من أن نضع في عقد النكاح شرطاً ليس في كتاب الله كاشتراط العصمة وغير ذلك من الشروط الفاسدة التي تفسد العقد أو تمنع نفاذه وأن نوفي بالشروط التي التزمنا بها كما قال ﷺ: «إن أحق الشروط بالوفاء ما استحللتم من الفروج».

٤ ـ أن يقوم كل من الرجل والمرأة بالحقوق والواجبات التي كلفهم الله بها وأن يعلم كل منهما أن تعديه على حق الآخر إنما هدم لنظام رباني وهو تماماً كهدم الفطرة والخلق لأن الحكم من عند الله والخلق من عنده فكما

خلق فهو يحكم سبحانه وتعالىٰ كما قال جل وعلا: ﴿**له الخلق والأمر**﴾، فكما أن الخلق له فالأمر له سبحانه وتعالىٰ، وكل من عارض الخلق شقي وكذلك كل من عارض أمره سبحانه وتعالىٰ شقى ولا بد.

٥ ـ أن يعلم كل من الرجل والمرأة الفطرة التي فطرهما الله سبحانه وتعالىٰ عليهما، فإذا عرف المرء نفسه عرف كيف يعالجها ويقومها وإذا جهلها جهل سبل التقويم والعلاج بل والصلاح أيضاً، فكيف يسعد نفسه من يجهلها؟ وكذلك أن يعرف الرجل شيئاً عن طبيعة المرأة ونفسيتها، وأن تعرف المرأة شيئاً عن طبيعة الرجل الخاصة ونفسيته وكيف يحب وكيف يكره؟ وهذا العلم ضروري لإحسان التعامل بين كل من المرأة والرجل.

٦ ـ أن يلجأ الزوج والزوجة إذا استشرىٰ بينهما خلاف إلىٰ أقرب حكم ناصح من أهله ليساعدها علىٰ الخروج من خلافهما وبذلك يضمنان سعادة وحلاوة لزواج إسلامي نظيف طاهر.

المرأة وحقوق الأطفال

تمر الأمة اليوم بدور خطير تحتاج فيه إلىٰ جيل جديد، صحيح في إيمانه، صحيح في قوته، صحيح في تربيته، ليستطيع حمل رسالة الإسلام الخالدة، وإنقاذ وطننا الكبير من المؤامرات التي تحاك له من الدول الاستعمارية بمختلف أنواع الحيل والدسائس.

إن هذا الدين الواعي يعتبر الاهتمام بالأبناء من أول واجبات الدولة فلا يترك للأبوين حرية التصرف بهم كما تشاء أهواؤهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت بعلها وولده وهي مسؤولية عنهم**» رواه البخاري ومسلم، وهذه النظرية الصحيحة أخذت بها الدول الراقية في العصر الحديث معتبرة قضايا الطفولة في مقدمة القضايا الاجتماعية التي يتحتم علىٰ الدولة الإشراف عليها وتوجيهها، لقد حثّ الإسلام كثيراً علىٰ طلب الأولاد تقوية للمسلمين وإكثار لليد المنتجة، جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إنني أحببت امرأة ذات حب وجمال وإنها لا تلد فأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم الثالثة فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم**». وكذلك يجب أن تختار المرأة زوجها.

الحق الأول: اختيار الأب للولد أماً فاضلة تحسن تربيته وسلوكه

وتكون له كما يكون له أبوه قدوة صالحة فمن الأقوال المأثورة: «وتخيروا لنطفكم فإن العرق دساس!» وورد أيضاً: «إياكم وخضراء الدمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء» وذلك عملاً بقانون الوراثة الذي اكتشف في العصر الحديث وعملاً بالحذر من آثار البيئة وعملها الهدام في نفسية الإنسان.

الحق الثاني: تبليغ الطفل صوت الإيمان حين خروجه إلى هذا العالم الحائر، فيكون اسم الله أول ما يقرع سمعه، عن رافع قال: رأيت رسول الله ﷺ، أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته أمه فاطمة رضي الله عنها.

الحق الثالث: ختانه والعق له في اليوم السابع (ذبح عقيقة: الشاة عن الأنثى أو الشاتين عن الذكر) احتفالاً بولادة عضو جديد في البيت الإسلامي وإكراماً للفقراء والأقارب والأصدقاء.

وفي ختانه إنقاذ له من الجراثيم التي تتكون في الزائدة، والتي تدخل إلى جميع الجسم، وقد شعر بضرورة الختان الغربيون فأخذوا باستعماله.

الحق الرابع: اختيار اسم له وذلك بسبب توجيه الأسماء لأصحابها، وقد بدل عليه الصلاة والسلام أسماء كثير من العرب التي كانوا يحملونها على إثر الجاهلية.

الحق الخامس: اختيار المرضع له إذا لزم ذلك من النساء الفاضلات القويات فقد قيل إن الرضاع يغير طباع.

الحق السادس: تقوية جسمه بالرماية والسباحة وركوب الخيل وربما كان يقوم مقامها ركوب الدراجات، وقد أخذ بهذا النظام كثير من مدارس

الغرب اليوم.

الحق السابع: تربيته تربية أخلاقية رفيعة وتزويده بالعادات الصالحة قال عليه الصلاة والسلام: «**ما نحل والد ولده خيراً من خلق حسن**». أي أعطاه عطية في دينه ودنياه خيراً من الأدب، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ولأن تؤدب ولدك خير على أن تصدق بصاع**». وقد ورد: «**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**».

الحق الثامن: معاملته معاملة حسنة وعدم تكليفه مالا يطيق كيلا يضطر للعقوق والعصيان عملاً بالحديث: «رحم الله والداً أعان ولده على بره».

الحق التاسع: **العدل بين الأولاد في الإكرام والعطية** فإن التمييز يثير بينهم الحسد والحقد وفي قصة يوسف عليه السلام عبرة لمن يعتبر قال عليه الصلاة والسلام: «**اعدلوا بين أولادكم**».

الحق العاشر: تدريب الأولاد منذ الصغر على النظافة والرياضة الجسمية والروحية بالوضوء والصلاة لتكون لهم عادة حسنة تقيهم شر الأمراض البدنية والنفسية قال عليه الصلاة والسلام: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**» رواه الترمذي وأبو داود، والتفريق بينهم في الفراش يهدىء أعصابهم وقواهم الجنسية، وهو أفضل للصحة.

الحق الحادي عشر: الإنفاق عليهم بسخاء قدر الطاقة فإن في البخل شراً كثيراً وفي الإنفاق المعتدل خير كبير.

قال عليه الصلاة والسلام: «**أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل علىٰ عياله ودينار ينفقه علىٰ فرسه في سبيل الله (عدته الحربية) ودينار ينفقه علىٰ أصحابه في سبيل الله**» وقال أبو قلابة: «بدأ بالعيال فأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق علىٰ عيال صغار ينفعهم الله به ويغنيهم». وفي حديث آخر إن أفضل هذه الدنانير هو ما أنفق علىٰ العيال.

الحق الثاني عشر: اختيار معلميه من ذوي الفضل والمقدرة بسبب تأثيرهم الشديد علىٰ تلاميذهم واختيار أصدقائه كذلك، وهذه الأمور يغفل عنها كثير من الآباء فيقعون في شر إهمالهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» وقال: «**المرء مع من أحب**» أي يحشر معه يوم القيامة.

الحق الثالث عشر: الثقة بالطفل واحترام شخصيته وكل ذلك ضروري له وحق من حقوقه ليشب معتمداً علىٰ نفسه واثقاً بنجاحه تستطيع أمته الاستفادة منه، فليس أضر علىٰ الأولاد من السخرية بهم واحتقار شخصيتهم، جاء في بعض الآثار: «وقّروا من تتعلمون منه العلم ومن تعلمونه» وفي قوله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم يخاطب ابنه: ﴿**يا بني إنىٰ أرىٰ في المنام أني أذبحك! فانظر ماذا ترىٰ؟**﴾ [الصافات: ١٠٢]، أعظم دليل علىٰ ما أقول، زد علىٰ ذلك أن في هذه الآية جماع الأدب وحض الأبناء علىٰ الطاعة وحض الآباء علىٰ طلب هذه الطاعة بلطف ورحمة، فإن اللين في طلب الأوامر يحمل معه الطاعة والانقياد.

الحق الرابع عشر: توفير أسباب الحياة لهم مهما أمكن بالمال الحلال كيلا يكونوا عالة علىٰ الناس، قال عليه الصلاة والسلام: «... إنك

إن تدع أهلك بعيش أو بخير، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» رواه البخاري.

الحق الخامس عشر: تعليم الولد تعليماً صحيحاً فطلب العلم فريضة، وخير العلم ما أفاد الولد في حياته وعلمه وجوه الخير وجنبه ضروب الشر، وإنني احذر الآباء من وضع أولادهم في مدارس تعرض دينهم للخطر بسبب دعاياتها التضليلية وآرائها الهدامة.

الحق السادس عشر: العناية بصحة الأبناء ومعالجتهم، فإن كثيراً من الناس يعنون بحيواناتهم أكثر من عنايتهم بأطفالهم فيعرضون أبناءهم وأمتم لأفدح الأخطار قال عليه الصلاة والسلام: «إن لبدنك عليك حقاً».

الحق السابع عشر: الفرح بولادة الأنثىٰ وعدم الحزن بمجيئها فإن البنت مخلوق كريم كالصبي ولها دور اجتماعي خطير ولا بقاء للحياة بدونها، فينبغي أن نُحسن استقبالها ونكرم أمها كما نفعل حين ولادة الصبي علىٰ الأقل قال عليه الصلاة والسلام: «**من ابتلىٰ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**». وقد ثار الإسلام علىٰ هذه التقاليد الفاسدة فقال سبحانه: ﴿**وإذا بُشّر أحدهم بالأنثىٰ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارىٰ من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه علىٰ هُون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون**﴾ [النحل: ٥٩].

الحق الثامن عشر: السماح للأبناء باللعب وإنشاء الأمكنة لهذه الغاية ما دام اللعب يدخل السرور إلىٰ قلوبهم ويفتح أذهانهم ويقوي عقولهم، وقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب أحفاده، وقد ورد في بعض الآثار:

«في الجنة دار لا يدخلها إلا من فرح الصبيان تسمىٰ دار الفرح»! ومن هذا الأثر يمكن أن نستوحي كثيراً من حقوق الأبناء.

الحق التاسع عشر: تقوية الإيمان بنفس الطفل، فليس كهذه القوة دافع له للتمسك بالفضائل واجتناب المساوىء والانطلاق نحو المثل العليا بثبات وشجاعة ونبذ الأنانيات والخصومات جاء في القرآن الكريم: ﴿**وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [لقمان: ١٣]. واحسرتاه علىٰ الآباء والمربين الذين يهملون هذا الواجب فيعرضون الجيل الجديد والوطن إلىٰ أسوأ النتائج والأخطار.

الحق العشرون: تربية الأولاد علىٰ الصدق منذ الصغر فإنه جماع الخير والمعلمون والآباء قدوة صالحة لأطفالهم قال عبدالله بن عامر: جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيتنا وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب، فقالت أمي يا عبدالله! تعال حتىٰ أعطيك فقال عليه الصلاة والسلام: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمراً قال: «أما إنك لو لم تفعلي ذلك لكتبت عليك كذبة» رواه الترمذي، لنتنبه إلىٰ هذا النوع العالي من التربية، فالآباء الذين يظنون أنهم في حل من ارتكاب الكذب تجاه أولادهم، يكونون لهم قدوة سيئة!

الحق الحادي والعشرون: تعليم الطفل ما يفيده وعدم تكليفه مالا يطيق جاء في الأثر: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»! وقيل إن من العلم لجهلاً بل هو كالجهل، وقال الله تعالىٰ: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولو طبقنا هذه الأوامر لأحسنا انتقاء المناهج وأنقذنا الطلاب من كتب ضخمة وبرامج مثقلة تنهك أجسامهم وعقولهم ولا تفيدهم شيئاً!

هذه بعض حقوق الأبناء، آمل من الآباء والأمهات مراعاتها والاهتمام بها لأعداد مواطنين صالحين، فإن في إهمالها شراً كثيراً وإن الولد أمانة عند والديه، وهو كنز ثمين بل ذخر عظيم في الدنيا والآخرة وأثر خالد، قال تعالىٰ: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾ [يس: ١٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له**» رواه مسلم.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلىٰ خطأ كثير من الآباء الذين يهملون واجباتهم السابقة نحو أبنائهم وأهلهم بحجة انشغالهم في المصالح العامة، وأمور الحياة فيسيئون تربيتهم ويعكرون حياتهم وحياة البيت والمجتمع، فإن علىٰ الإنسان واجبات عدة لا يصلح أن يهمل بعضها علىٰ حساب بعضها الآخر، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقوم بمهام الرسالة والدولة والمجتمع علىٰ السواء فلم يعرف عنه أنه أهمل تربية أهله أو حقوق أصحابه وجيرانه.

وقد كان أسلافنا شديدي الاهتمام بتربية الأطفال، لذلك كانت لهم السيادة، وكان لهم النصر.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني في «محاضرة الأدباء» أن المنصور بعث إلىٰ مَنْ في الحبس من بني أمية من يقول لهم: «ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس»؟.. فقالوا والألم يعتصر قلوبهم: «أشد ما مرّ بنا في هذه الكارثة ما فقدناه من تربية أولادنا»!

فما أعظم الفرق بيننا وبين أولئك الجدود الأكرمين؟!

هل للمرأة دور في الطلاق؟!

قبـل الشروع في عرض الأساليب المقترحة لعلاج مشاكل الطلاق والتقليل من نسبة انتشارها، يجدر بي أن أنوّه إلىٰ الآثار السيئة: اجتماعية كانت، أم نفسية، أم أسرية، والتي يترتب عليها وقوع الطلاق، وإذا كنا نبحث معاً رجالاً ونساء في الأساليب التي تقلّل من وقوع هذه الحادثة الأليمة، فإنه يلزم أن نتعرّف أولاً علىٰ الأسباب التي تؤدي إلىٰ حصول الطلاق، وبطبيعة الحال فإن دراستي للموضوع أسفرت عن أن لكل من الزوج والزوجة تأويلهما الخاص في حدوث الطلاق، فكل طرف يرتدّ بالمسؤولية علىٰ الطرف الآخر، وإن كانت هناك قلة، من الطرفين أيضاً أكثر موضوعية وصدقاً وتعترف بأنها كانت المسؤولة عن الطلاق.

الآثار السيئة للطلاق:

الطلاق، ولا شك، تجربة قاسية مريرة، ليس بالنسبة للمرأة فحسب وإنها بالنسبة للرجل أيضاً، ذلك لأن حادثة الانفصال تهز أركان الاستقرار العائلي والنفسي والاجتماعي لكل الأطراف، وتؤدي إلى الشعور بالفشل والإحباط والحرمان وما يصاحب ذلك من الشعور بالنقص، وفقدان الثقة، وقد تشعر المرأة، إثر واقعة الطلاق، بجرح في كبريائها، ومساس في أنوثتها، وفقدان ـ ولو نسبياً ـ لشعورها بالثقة في نفسها وبقدرتها على الاحتفاظ بعش الزوجية قائماً.

وقد تشعر بالضياع واليأس والقنوط والسخط على الرجال عامة وعلى الزواج وفكرته، وقد يعتريها شعور، وهمي أو حقيقي، بأن فرصتها في الزواج قد ولّت الأدبار ولن تعود إليها ثانية، وقد تتوهم المرأة، أو الرجل أنهما جرب كل منهما حظه، وأن هذا الحظ قليل فيما يتعلق بالزواج، وعلاوة على هذه المشاعر، فالمرأة قد تشعر بالحزن والاكتئاب لفقدانها الشخص الذي أحبته وأخلصت له وبنت أحلامها الوردية في رحلة الحياة معه، وقد تعاني المرأة بعد الطلاق، من نظرات النقد واللوم، بل والشك والريبة وهمسات الشماتة، وقد يطاردها أصحاب النفوس الضعيفة والقلوب المريضة بالقيل والقال، وتخضع لفضول الفضوليين والانتهازيين وغير ذلك من الاتجاهات العامة لدى المجتمع نحو المطلقة وخاصة التي تخالط الرجال.

هذه الصورة القاسية لا تمنع، بطبيعة الحال، من أن هناك حالات يؤدي الانفصال فيها إلى راحة الطرفين أو أحدهما، ولا تمنع أيضاً هذه الصورة من أن المطلقة قد تكون أحسن حظاً في التجربة الثانية عن تجربتها الأولى، ولا تمنع أيضاً من أن هذه التجربة على مرارتها، قد تستفيد منها المرأة، وتتعلم الكثير، ومن ثمّ تتحاشى الوقوع فيما وقعت فيه من أخطاء من قبل، لكن الغالبية العظمى من المطلقات يعانين من إحساس أو آخر من الأحساسيس السلبية آنفة الذكر.

أما الأثر الاجتماعي الذي يتركه الطلاق، فهو ولا شك، أثر سلبي ينعكس على العلاقات بين أفراد أسرتين، حيث تنفصم العلاقات العائلية وصلة المصاهرة والقرابة وتحل محلها الخصومة بين الطرفين ويحتدم الصراع والتطاحن الذي قد يبلغ، في بعض الأحيان، حدّ العراك والشجار

واستخدام العنف، ومؤدى هذا أن الطلاق عامل من العوامل التي تنال من التماسك والترابط والوئام الاجتماعي، وأنه أحد عوامل التفكك الاجتماعي والأسري، ما لم تعمل النفوس الخيّرة على رأب الصدع وحل النزاع وإنهاء الصراع بالمعروف والحسنى، أو عودة الشمل، إن كان هناك أمل في ذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿***الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان***﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الحياة العصرية وعوامل الطلاق:

وبطبيعة الحال لقد وجد الطلاق منذ أقدم العصور، ولكن لكل عصر ظروفه وملابساته، ولذا يتعين أن نضع أيدينا على الأسباب التي تكمن في حياتنا العصرية، والتي تؤدي إلى وقوع الطلاق، وكما قلت كشفت دراستي للموضوع واستطلاع رأي الكثيرين والكثيرات أن لكل من الزوج والزوجة أسبابه الخاصة، وإن كان هذا لا يمنع من وجود أسباب مشتركة يعترف بها كلا الطرفين.

الأسباب من وجهة نظر الأزواج:

لا شك أن خيانة الزوجة أو إحساس الزوج بأن زوجته تخونه من أكبر العوامل المدمرة للحياة الزوجية والمؤدية للانفصال والخيانة، ولا شك أنه جرم لا يقبله أحد ولا يتسامح فيه أحد مهما بلغت عاطفة الزوج نحو زوجته، فالخيانة سلاح بتار يهدم عشّ الزوجة في الحال.

ومن الأسباب الشائعة كذلك ميل الزوجة للإسراف الزائد. والمغالاة في الإنفاق، ولا سيما في وجوه الإنفاق على نفسها، بما يفوق قدرة الرجل

المالية، مما يؤدي إلى شعوره بالفشل والإحباط، وجعله يلهث أنفاسه دائماً في محاولة يائسة لسد احتياجاتها المتزايدة، والتي قد توقعه في الديون، أو تشعره بأنه مقهور أمام زوجته.

ومن العوامل التي تجعل الزوج يضيق ذرعاً بزوجته الإهمال في شؤون نفسها وفي شؤونه وشؤون المنزل والأولاد، وهناك حالات حدث في الطلاق بسبب ميل المرأة للعصبية، والنرفزة الزائدة، والثورة والتهيّج. وسرعة الانفعال، والعجز عن الضبط الانفعالي، والتسرع والاندفاع، وقد يصاحب هذا خروج المرأة عن حدود الأدب واللياقة والاحترام في تعاملها مع زوجها أو أهله.

ومن تلك العوامل كذلك تعلّق المرأة الزائد بأهلها، وشدة ولعها وإعجابها بهم وتفضيلهم عليه، أو التعلق بأمها، والتمسّك باستشارتها في كل كبيرة وصغيرة، والإسراف في زيارتها، ومن ثَمَّ تدخلها في شؤون الزواج، وتحتاج مثل هذه الزوجة إلى ما يعرف باسم «الفطام العاطفي» عن أمها.

من بين هذه العوامل الاختلاف الشديد في المستوى التعليمي والثقافي لكل من الزوجة والزوج، فقد يشعر الزوج أن زوجته عاجزة عن مجاراته في مستواه الثقافي، ومن ثَمَّ يشعر بالبعد تدريجياً عنها.

ولقد وجد أن الدمامة قد تكون مسؤولة عن نسبة من الطلاق، وكذلك أنانية الزوجة المفرطة وحبها لذاتها ورغبتها في الارتفاع مستخدمة الزوج كمصعد اجتماعي ترتقيه للصعود إلى أعلى.

وكذلك يُعدّ عدم الإنجاب سبباً رئيسياً في حدوث حالات الطلاق، وكذلك الأمراض المزمنة أو المعدية أو الخطيرة، وهناك حالات يستخدم فيها أحد الأطراف الأولاد سلاحاً يشهره ضد الطرف الآخر، كأن تلجأ الزوجة لتكوين تكتل أو معسكر من الأولاد يقف ضد الزوج، مما يؤدي إلىٰ لجوء الزوج إلىٰ هدم الحياة الزوجية والتخلص من الزوجة، ذلك الخصم العنيد وقد تلعب الخلافات بين أسرتي أهل الزوج وأهل الزوجة دوراً في حدوث الطلاق، وهناك يصبح الزوجان ضحية لخلافات غيرهم، كما أن شيوع نزعات التفرنج والتبرج.

ورفض الزوجة الالتزام بطاعة زوجها والالتزام بالحجاب في ملبسها والتحشم في مسلكها قد يؤدي هذا إلىٰ حدوث الطلاق وفي ذلك خروجٌ عن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف الذي يدعو المرأة لطاعة زوجها عملاً بالحديث الشريف «***لو كنت آمر أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها***» متفق عليه. وانشغال المرأة العصرية خارج المنزل واستغلالها الاقتصادي، وتفاعلها مع رفقاء السوء له دور هام في حدوث الطلاق هذه بعض الأسباب التي يغلب أن يبديها الأزواج.

الأسباب من وجهة نظر الزوجات:

أما الأسباب، من وجهة نظر الزوجة، فمن بينها ضعف شخصية الزوج، ذلك الضعف الذي قد يتخذ عدة مظاهر منها خضوعه لتأثير أمه عليه وسيطرتها علىٰ آرائه واتجاهاته وميوله وسلوكه نحو زوجته، أو تردده وعجزه عن الحسم واتخاذ القرارات المناسبة في وقتها الملائم، والحكم الصائب علىٰ الأمور والالتزام بالروية والاتزان وحسن التصرف... إلخ.

ومن العوامل المؤرقة للزوجة أن يعمد الزوج إلىٰ إهانتها أو تحقيرها أو إساءة معاملتها، أو القسوة عليها، وضربها، ونقدها أمام الغير في كل كبيرة وصغيرة، وجرح شعورها والغلظة في التعامل معها وعدم مراعاة مشاعرها الرقيقة، ومن العوامل التي تهدد الزواج المعاصر عدم توفير المسكن غير مناسب أو الإقامة مع أهل الزوج أو الزوجة، مما يؤدي إلىٰ نشوب الخلافات التي قد تنتهي بالانفصال. والغيرة الشديدة من العوامل التي تسبب الطلاق الغيرة التي تدفع الرجل إلىٰ فرض قيود حديدية علىٰ زوجته وعلىٰ سلوكها وتصرفاتها.

وقد تنقلب إلىٰ حالة من الشك والريبة فتشعر المرأة بالاختناق من هذا الحصار الحديدي المفروض عليها، وقد يلعب بخل الرجل دوراً أساسياً في حدوث الطلاق وخاصة إذا كان ميسوراً وكان من عادته البخل والشح والتقتير علىٰ زوجته، ومن ثَمّ فإنها تشعر بالحرمان وبالعجز عن شراء ما كانت تحلم به قبل الزواج أو ما كانت تتمتع به في بيت أسرتها.

ومن الأسباب المؤدية للطلاق كذلك خيانة الرجل لزوجته أو حتىٰ مجرد انتباهه الزائد إلى نساء الأخريات، وفارق السن الشاسع سواء أكان هذا الفرق في صالح الزوجة والزوج، واختلاف المستوىٰ الاجتماعي والاقتصادي لكل منهما، واختلاف العادات والتقاليد والميول والقيم والمثل والمعايير. وفلسفة كل منهما في تربية الأطفال تلعب دوراً هاماً في الطلاق.

وقد يرغب الزوج في تربية أبنائه علىٰ الأسلوب العصري بينما قد تكون الزوجة تقليدية في هذا الصدد أو العكس تماماً، وفي الحالات التي لا يكون للزوجة دور في اختيار زوجها، وإنما يكون اختياره قد تم بناء علىٰ

رغبة أهلها، قد يعري لهذا العامل حدوث الطلاق.

ومن الظروف العصرية غير المواتية للحياة الزوجية اشتغال المرأة خارج المنزل ومضاعفة الأعباء الملقاة علىٰ عاتقها وعجزها عن الوفاء بتلك الأعباء والواجبات وقد يمنعها زوجها من العمل، وهنا يصبح عليها أن تفاضل بين الزواج أو الطلاق فتختار الطلاق؟!

وهكـذا يتّضح أن الأسباب كثيرة ومتنوعة، وأنها تختلف باختلاف الحالات، ولكن المهم هو أن كثيراً من هذه الأسباب يمكن تحاشيها والوقاية من وقوع كارثة الطلاق.

أساليب الوقاية والعلاج:

لا بد من تضافر القوىٰ الخيرة في المجتمع لمنع حصول الطلاق، أو علىٰ الأقل خفض نسبته لكي لا تصبح الحياة مستعصية، وخطيرة علىٰ الزوجين والأبناء معاً، وبذل كافة الجهود والمحاولات لإصلاح ذات البين وإزالة أسباب الخلاف وهذا يتطلب من المرأة سعة الأفق والتروي والصبر والاحتمال ومن الزوج التنازل عن بعض مطالبه والعطف علىٰ زوجته، والتفاهم، والنظر للأمور من الزاوية التي تنظر هي من خلالها، والتوسط والاعتدال في كل شيء.

وعلىٰ المجتمـع أن يقيم مكـاتب أو لجانـاً للإصلاح بين الأزواج ومساعدتهم في حلّ مشكلاتهم وتقديم العون المادي والفكري لهم، بما في ذلـك توفـير المسكن المنـاسب والمسـاعـدة في توفـير وسائل النقل والمواصلات، وتحسين ظروف ومواعيد العمل بالنسبة للزوجة لتتمكن من

رعاية بيتها، والتوفيق بين مطالب البيت وأعباء العمل وكذلك إنشاء دور الحضانة لكي تساعد الأمهات العاملات على رعاية أطفالهن وتربيتهم والإكثار من مراكز رعاية الأمومة والطفولة لإرشاد الأمهات والحوامل وحمايتهن من الأزمات الصحية.

والحقيقة أن مسؤولية الطلاق لا تقع على الزوج أو الزوجة وحدهما، وإنما ترجع إلى المجتمع بأسره، وإلى إمكاناته وظروفه، وعاداته، وتقاليده، ولذلك يتعين أن تتضافر الجهود الخيرة لمنع الطلاق، وعدم ترك الزوجة وحدها ضائعة في الميدان وإن كانت مدعوة لطاعة زوجها واحترامه والحرص على ماله وأبنائه مصداقاً لقول الرسول الكريم ﷺ: «***كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته***» رواه البخاري ومسلم.

والعطف عليه ومشاركته مشاركة وجدانية والإحساس بما يحس من السعادة أو الألم، والاهتمام به، وتقدير رجولته وشخصيته والثناء عليه وحسن الاستماع إليه وحسن استقباله وإسداء النصح له فيما يعترضه من مشكلات، ومحاولة تفهم طباعه وعاداته وتقاليد وأنماط تفكيره، وما يحب أو يكره وتحاشي الأمور التي تثير غيظه أو غضبه وعمل الأشياء المحببة إليه وطاعته في غير معصية الله عملاً بقول الرسول الكريم: «***إذا دعا الرجل زوجته فلتأته وإن كانت على التنور***» رواه الترمذي بإسناد حسن، وقوله ﷺ: «***لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها***» رواه الترمذي بإسناد حسن، وقوله ﷺ: «***أيما امرأة ماتت وزوجها عنها***

راض دخلت الجنة » رواه الترمذي بإسناد حسن.

وقوله ﷺ : «***والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها***» رواه البخاري ومسلم.

والزوج مطالب بأن يعمل مثل هذه الأمور تجاه زوجته وأن يشعرها دائماً بالعطف والحنان والشفقة والتراحم ويشعرها بقيمتها وبدورها في الأسرة وبحاجته إليها وأنها ليست مجرد متاع في المنزل وأنها غريبة عنه وألا ينسى وصية الرسول الكريم بالنساء «***واستوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء***» متفق عليه.

أما إذا حدث الطلاق بعد بذل كافة الجهود فإن الإسلام أقر حقوقاً للزوجة وعلى الزوج منحها كافة حقوقها بالحسنى دون صراع أو نزاع، وذلك عملاً بقول الله تعالى: ﴿***وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين***﴾ [البقرة: ٢٤١].

من واجبات الزوجين

إن من أهم واجبات الزوجة تجاه زوجها، ومن أخص حقوق الزوج على زوجته:

١ـ أن تعيش لزوجها سكناً ورحمة ووداً حتى يجد بجانبها السعادة والاستقرار وتعويض ما يلقى.

٢ـ أن تقوم بدور الأم كاملاً مع أولادها حتى تسلمهم للأسرة والأمة صالحين، لتحمل دور الآباء والأمهات والسير بالحياة إلى التقدم والازدهار.

وليس معنى ذلك أن المرأة ممنوعة من العمل أو العلم أو تحمل الأعباء والمشقات، إنما الغرض الصحيح أن ذلك كله ليس مطلوباً منها ـ إلا العلم في أمور معينة، وإلا بعض الأعمال المتصلة بالنساء ـ فإنه لا غنى للأمة عن تجنيد المرأة فيها، أما غير ذلك فإن تجنيد المرأة فيه هو تضييع لأكبر طاقة تساعد الرجل على القيام بما هو مستعد له بالفطرة، كما أنه تضييع لأعظم أمل للأمة وهو ناشئة البنين والبنات.

وإذا كانت كل المسئوليات على الرجل، وكانت مسئولية المرأة الزوجة محصورة في الأمرين السابقين فإن العقل والشرع والعرف، يجعل للرجل حق القوامة في الأسرة، وحق الطاعة على كل أفراد الأسرة من زوجة وأبناء.

وليس معنىٰ ذلك أن الإسلام يجعل من الزوج دكتاتوراً ومستبداً يفرض رأيه وعسفه وغشمه علىٰ الجميع . . ليس هذا مراداً أبداً لا في العقل ولا في الشرع ، بل المراد أن جو الأسرة الذي تسوده الحياة الجميلة والعشرة الحسنة يجب أن يقوم علىٰ المشاورة في الأمور المشتركة وأن يكون التفاهم الحسن، وتبادل الآراء تحت مظلة الرحمة والحب والمودة هو الأصل، وإلا كان تناقضاً، فإن اختلف الزوجان في أمر وتمسّك كل من الزوج والزوجة برأيه وجب أن يطاع الرجل ويسلّم الأمر له.

كما أن الأمور هي خاصة به إذا أصدر فيها أمراً بشيء معين وجب تنفيذه، وهذا هو معنىٰ قوامة الرجل علىٰ المرأة، فالرجل له درجة أعلىٰ من درجة المرأة تجعله قواماً عليها، لأن الرجل هو الغارم الأصلي والمنفق والمجاهد والحامي والمدافع عن المرأة «والغنم بالغرم» وتبادل المصالح أصل معترف به ومفروض اجتماعياً وشرعياً وعقلياً، ومن هنا ندرك معاني الآيات والأحاديث التي تفضل الزوج علىٰ الزوجة مثل قوله تعالىٰ:

﴿***ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة***﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال القرطبي: درجة: أي منزلة . . . إلىٰ أن قال: فزيادة درجة الرجل بعقله وقوته علىٰ الإنفاق وبالدية والميراث والجهاد . . إلىٰ أن قال: «فدرجة» تقتضي التفضيل وتشعر بأن حق الزوج عليها أوجب من حقها عليه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «***لو أمرت أحداً بالسجود لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها*** . .» رواه الترمذي، إلىٰ أن قال: وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلىٰ حضّ الرجال علىٰ حسن العشرة والتوسع للنساء في المال

والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه، قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع، وقال تعالىٰ: ﴿***الرجال قوامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض، وبما أنفقوا من أموالهم***﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن الجوزي في زاد المسير في معنىٰ تفضيل الرجل علىٰ المرأة: وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل «وهذا في الغالب، وإلا فبعض النساء أعقل من بعض الرجال» وتوفير الحظ في الميراث والغنيمة والجمعة والجماعات والخلافة والإمارة والجهاد، وجعل الطلاق إليه إلىٰ غير ذلك.

ومعنىٰ قوله تعالىٰ: وبما أنفقوا من أموالهم: أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيما عليها.

قال العقاد: والقوامة هنا أي في الآية السابقة مستحقة بتفضيل الفطرة، ثم بما فرض علىٰ الرجال من واجب الإنفاق علىٰ المرأة، وهو واجب مرجعه إلىٰ واجب الأفضل لمن هو دونه فضلاً وليس مرجعه إلىٰ مجرد إنفاق المال، وإلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة مالاً يغنيها عن نفقة الرجل، أو يمكنها من الإنفاق عليه...، وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ بني آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع لعدمة وبعد نشوئها ونحن هنا نكتب للمرأة والرجل المسلم، وهما اللذان يخضعان لأمر الله وشرعه، ويقدسان حكم الله ودينه...، وإليك تفصيل واجبات الرجل وحقوقه تجاه الزوجة:

١ ـ معرفة مكانته بالنسبة لها:

ومعرفة هذا الحق هامة جداً وقد بينت الآيتان السابقتان أن الرجال

لهم درجة وقوامة وفضل علىٰ النساء، وتأتي الأحاديث شارحة للقرآن ومبينة مكانة الزوج، وهي مكانة تفوق كل تصور، وواجب علىٰ المرأة العلم بها لتتصرف مع زوجها على أساسها، ولتكون كالدافع لها في ألا تتبرم بزوجها ولا تمله ولا تنكر فضله عليها.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «*أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة*» رواه ابن ماجه. والترمذي وحسنه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن حُصين بن محصن رضي الله عنه أن عمة له أتت النبي ﷺ، فقال لها: «*أذات زوج أنت؟ قالت: نعم، قال: فأين أنت منه؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك*» رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: «*أي الناس أعظم حقاً علىٰ المرأة؟ قال: زوجها، قلت فأيُّ الناس أعظم حقاً علىٰ الرجل؟ قال أمه*» رواه البزار بإسناد حسن.

وهنا تقابل جميل رائع يعطي المرأة جزاء ما تقدم: فبينما زوجها أعظم الناس حقاً عليها إذا بها أعظم الناس حقاً علىٰ ابنها وهكذا العدل الإلهي المطلق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «*لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها*» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «***لا ينظر الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه***» رواه النسائي والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح.

٢ ـ الطاعة وحسن العشرة:

جعل الله سبحانه وتعالىٰ الرجل قوّاماً علىٰ المرأة ورئيساً لها، فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها، وعصيان زوجها محرم عليها، وتعذب عليه في الدنيا والآخرة إذا لم ترجع عنه وتعتذر لزوجها حتىٰ يسامحها، وحالة الزوجة مع زوجها كحالة الولد مع أبيه بل حق زوجها أكبر بنص حديث «***لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد***» والمرأة الصالحة هي التي تدرك ذلك وتعيه وعياً تاماً، وتخشىٰ الله في زوجها، وتراقبه سبحانه وتعالىٰ في كل صغيرة وكبيرة مخافة أن يغضب عليها، ولذا قال تعالىٰ:

﴿***فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله***﴾ [النساء: ٣٤].

والمعنىٰ أن النساء الصالحات مطيعات لأزواجهن حافظات لغيبتهم إذا غابوا فيحفظن أنفسهن، ويحفظن أموال أزواجهن وأولادهم حتىٰ يعودوا، وذلك بتوفيق الله لهن وحفظه، فالطاعة للزوج أول صفات المرأة المسلمة الصالحة.

والطاعة شيء يدخل في حسن العشرة وقد تطيع المرأة وهي لا تحسن العشرة بل تحسن أن تطيع فيما تؤمر به، ولا تبحث عما وراء ذلك، مع أن حسن العشرة هام جداً في الحياة الزوجية.

وحسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية عالية، وبه دوام المحبة

والألفة والرحمة، وكثيراً ما تحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية، والنظرة الودود، والمجاملة الرقيقة، والأسلوب المهذب، والخضوع اللين.

والمرأة التي تطيع زوجها وتحسن عشرته تكسب ثقته ودوام حبه وشعوره بالسعادة مع زوجته، فيعطي زوجته أضعاف أضعاف ما تعطيه حتى يصل الأمر إلى أن الزوجة في الحقيقة هي التي تصيِّر زوجها ملبياً كل رغباتها، بل سعيداً كل السعادة وهو يلبي هذه الرغبات، فيئول الأمر إلى أن الزوج هو الذي يطيع زوجته، وكلما أسبغت المرأة على زوجها من عواطفها ورقتها وحسن اهتمامها به ملكت عليه قلبه وأشعرته بأن سعادته الحق لا تكون إلا معها، وقليل من النساء من يفهمن ذلك ومن يفهمن لا يعملن غالباً، ولذلك يهرب الرجل.

والطاعة أمر عام يدخل تحته تنفيذ كل أوامر الزوج - في غير معصية الله - والابتعاد عن كل شيء لا يرضاه أو ينهى عنه ويمنع منه.

فلا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه ولو كان أقرب الناس إليها أو إليه.
ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولو كانت ذاهبة لأبيها وأمها.

ولا تتصرف في ماله إلا بإذن خاص أو إذن عام، كأن يقول لها: تصرفي كيف تشائين فيما تحت يدك من مالي، هذا في الأمور الكبيرة والمبالغ المرموقة، أما في التوافه فلا شيء عليها، كأن تعطي سائلة أو جارة قليلاً من الطعام أو المال أو الملابس القديمة ونحو ذلك.

ولا يجوز أن تصوم نفلاً إلا بإذنه، ولو صامت فاحتاجها جنسياً وجب أن تستجيب له وتفطر، وكذلك لا تعتمر نفلاً ولا تحج نفلاً إلا بإذنه.

أما العمرة والحج الواجبان فإنها تستأذن مجاملة فقط، فإن لم يأذن حجت واعتمرت بدون إذن، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وإليك الأدلة على ذلك كله. وما لم يذكر تابع لما ذكر.

جاء في الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ في حجة الوداع أنه أوصى بالنساء خيراً إلى أن قال: «***ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن، ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهنّ عليكم أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ***» رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «***إذا صلت المرأة خمسها، وحصّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت***» رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «***لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه***» رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «***إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح***» رواه البخاري ومسلم.

وعن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «***اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما: عبد آبق مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع***» رواه الطبراني بإسناد جيد.

٣ ـ التزين لزوجها :

إن الطفل النظيف المرجّل الشعر، المهندم الثياب، الطيب الرائحة يحبه كل من يراه.

والحجرة المنسقة، المزينة بالزهور والصور الطبيعية، والكراسي الوثيرة، والبساط اللين تريح الأعصاب، وتجعل الجلوس فيها نوعاً من المتعة.

والبقعة الخضراء حين يجري فيها جدول الماء، وتتدلىٰ عليها أغصان الأشجار، وتسمع فيها تغاريد الطيور هي مكان شاعري يبعث الحب، ويجعل للحياة طعم النعيم.

والزوجة التي يراها زوجها متزينة له، متعطرة من أجله، منظفة بيتها ودارها، منظمة كل شئونها، تستقبله ببسمتها، وترطب وجدانه بحلاوة مقابلتها وكلامها، وتمسح متاعبه بعطفها وحنانها وحسن تصرفها، وتهيىء له الجو الهادىء المناسب لوقت راحته، وتوفر له مطالبه التي اعتادها حين يدخل وحين يخرج سواء بنفسها أو بمساعدة الخدم... إن مثل هذه الزوجة متاع الدنيا وحوريتها، وبهجة الحياة وبلسمها، ونور البيت وجماله، ولو وقفت الدنيا كلها في جانب ووقفت هذه المرأة في جانب لاختار جميع الرجال هذه المرأة، لأن بيدها مفاتيح السعادة وكنز الحياة، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: ***«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»*** رواه مسلم.

والمرأة الصالحة فسرت صفاتها في حديث آخر بأنها التي إذا نظرت إليها سرتك وإن أقسمت عليها أبرتك، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك.

وقد كانت المرأة العربية قبل الإسلام وبعده حريصة كل الحرص على التزين في كل جزء من جسمها وشعرها، ومن تترك الزينة يعرف الناس أنها في حالة حزن إما لموت زوجها أو نفوره منها، أو إهماله لها، أو لموت أحد أقاربها.

والله تعالى أخبر في القرآن أن المرأة تعشق الزينة من صغرها وتنشأ فيها، فترك الزينة ينافي طبيعتها. قال تعالى: ﴿*أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الحلية وهو في الخصام غير مبين*﴾ [الزخرف: ١٨].

فالله يرد على الكفار الذين يقولون: إن الملائكة بنات الله، فيقول لهم ألم تجدوا إلا هذا الصنف لتنسبوه إلى الله وهو الصنف الضعيف الذي ينشأ في الزينة والحلية ولا هم له سواها؟ وهو ضعيف أيضاً عند المخاصمة، لا يستطيع أن يحج غيره من الرجال ويفحمه كما يفعل الرجال...، وهذه شهادة من الله العالم بطبيعة المرأة والخالق لها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت امرأة عثمان بن مظعون تخضب (أي بالحناء) وتطيِّب فتركته فدخلَتْ علي، فقلت: أمَشْهَد أم مغيب؟ «هل زوجك حاضر أم غائب» فقالت: مشهد، قالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء، قالت عائشة: فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فلقي عثمان فقال: «*يا عثمان تؤمن بما نؤمن به؟*» قال: نعم يا رسول الله. قال: «*فأسوة لك بنا*» رواه أحمد. فعائشة استنكرت على امرأة عثمان بن مظعون عدم التزين وزوجها معها، ورسول الله ﷺ تدخل في الأمر لتعود الأمور إلى وضعها الإنساني الطبيعي الموافق لهدي الأسلام.

وفي حديث رواه البخاري خلاصته: أن سلمان الفارسي كان أخاً في

الله لأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فلم يجده ووجد امرأته متبذلة بغير زينة على غير المعهود من المرأة المتزوجة، فسألها عن السبب فأخبرته أن أبا الدرداء لا يهتم بالدنيا ولا بالنساء، إنما هو صوّام قوّام، فلما وصل أبو الدرداء أعد طعاماً لسلمان فلم يأكل منه حتىٰ أفطر أبو الدرداء وأكل معه، ولما جاء الليل أراد أن يقوم أول الليل فمنعه سلمان حتىٰ الثلث الأخير من الليل ثم قال له: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فذهب أبو الدرداء إلىٰ النبي ﷺ وأخبره يقول سلمان فقال ﷺ: «*صدق سلمان*».

وهذه امرأة عربية نصحت ابنتها فأبدعت في نصحها، روي أن أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج: إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلىٰ فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً يكن له سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً، لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا منك فادني منه، وإن نأىٰ فابعدي عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن إلا طيباً، ولا يسمع إلا حسناً، ولا يرىٰ إلا جميلاً، واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة، وبيدها سبحة فقلت: ما أبعد هذا من هذا «يعني السبحة لا تتفق مع التزين والتجميل».

فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه
وللهو عندي والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له.

جمال النفس أبهى

أما استحيت يوماً يا فتاتي
إذا أيقنت أنك للممات
ظننت الحسن لا يأتيه يوم
يشيب بلى ورب الكون آتي
أحذرك التشبه والتعالي
وأنصحك الحفاظ على الصلاة
أترضين الإله لكن ربا
ويأبى الله زيّ المشركات؟
وأهمس للبنات أليس حقاً
جمال النفس أبهى للفتاة
تبرجكن يؤلم كلَّ حر
وزيّك ليس زي المسلمات
أظافركن طالت لست أدري
سباع أم وحوش في الفلاة
وآثار الدماء تبين فيها
تنبّيء عن وحوش قاتلات
ويا أختاه رَبُّ الكون نادى
دعانا للأمور المنجيات

فهل خلق الإله لكن شرٌّ؟
إذاً فلم التزين يا فتاتي؟

بأحسن صورة سوّاك شخصاً
أخلق الله أم زيف البنات

فإن ترضي فخلق الله خيرٌ
وإنْ تأبي خُذي لهو الحياة

كألوان وأدهان وعِطْرٍ
وأظفار طِوال بارزات

ولي طلبٌ من الفتيات حتى
يبين لنا الهلاك من النجاة

رجائي سترُ عورتكنَّ عنّا
فما للسبع أكلٌ من نبات

فتوبي يابْنة الإسلام ربي
سيعفو عن نساءٍ مذْنبات

ألا من توبةٍ تمحو ذنوباً
وأين التائبات من البنات؟

وإن يرد الكريم بكنَّ خيراً
يزهدكنَّ في تلك الحياة

تشبهُّكنَّ بالغلمان فسقٌ
تبرجكن صنع الجاهلات

أخبركن أن النار حقٌّ
لمن كفرت وللمتبرجات

وإن كان التَّبرج مستحباً
فليس محللاً للمؤمنات
ثيابك يا فتاتي شرُّ ثوب
مثال الكاسيات العاريات
أقول لك الحقيقة يا فتاتي
لأني رُمتُ خيراً غير عاتي
ألا أهديك طوقاً فيه غوث؟
تحجُّبكم طوقٌ للنجاة
أطيعي الله واتّبعي رسولاً
دعا للباقيات الصّالحات
فما للبنت غير الدين خلٌّ
وما خل لغير محجبات
فنور القلب يُطفأ بالتمادي
وذا نصحي إلى المتبرجات
دعوت الله يمنحكن عقلاً
فجسم دون عقل للشتات
وأنصحك التّستر في حياء
لأنّ السِّتر أرض للنواة

العلم واستغلال الوقت عند المرأة المسلمة

من البدهيات التي لا تقبل الجدل أن الإسلام دعا إلى العلم وحثّ عليه، وأظهر فضله وأعلى شأنه، ووردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن فضل العلماء وتشيد بذكرهم وتبين منزلتهم العظمى وأن الله أعد لهم درجات رفيعة ومنازل عالية وجعل لهم آثاراً باقية وذكراً خالداً . .

وجاء النبي ﷺ برسالته الخاتمة لينير للناس طريق العلم ويقول فيما يرويه ابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وكان النبي ﷺ يخصص من وقته جزءا للنساء يعلمهن فيه، ومما ورد في ذلك ما رواه مسلم عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: «***لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته***».

وفي رواية الترمذي: «***ألا أعلمك كلمات تقولينها؟ سبحان الله عدد***

خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «***يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار***» قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: «***تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن***» قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: «***شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي***». رواه مسلم.

وهذه المحاورة تشهد بأنه كان مجلس تعليم يقوم على أحدث وسائل التربية التي تحيي إيجابية المتلقي وتؤيد المعلومة بالدليل والبرهان.

وكانت المرأة فيما رأينا من هذين المثلين حريصة على طلب العلم والاستزادة منه، ولم يكن النبي ﷺ ضنيناً بالعلم على طالبه ولكنه كان حريصاً على أن ينفع أصحابه ويروي ظمأهم من العلم منتهزاً في ذلك كل فرصة ممكنة، وكان يحيي من يراه مقبلاً على ذلك مشجعاً له وفيما يروي من الأخبار أن امرأة قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً تعلمنا فيه فخصص لهن النبي ﷺ يوماً.

وفي القصة الآتية دليل آخر على رغبة المرأة المسلمة في العلم وحب النبي ﷺ لإشباع هذه الرغبة فيهن.

أورد ابن الأثير في «أسد الغابة» في ترجمة أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل هذه القصة:

أتت أسماء إلىٰ النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلىٰ الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضي شهواتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضىٰ وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلىٰ أصحابه بوجهه كله، ثم قال: ***«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه»***؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلىٰ مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها فقال: ***«أفهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها ـ أي حسن مصاحبتها له ـ وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله»*** فانصرفت المرأة وهي تهلل، وأصبح يطلق علىٰ هذه المرأة وافدة النساء.

لقد أقبلت المرأة علىٰ العلم منذ فجر الإسلام، وكان لطبيعتها السهلة وحسن استعدادها، وحبها لدينها وعمق إيمانها أثر كبير في تفوقها الذي ظهرت صورته المثلىٰ في أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، فهذه عائشة رضي الله عنها يؤثر عنها أنها روت عن النبي ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكانت أفصح أهل زمانها وأحفظهم للحديث، روى عنها الرواة

من الرجال والنساء، وكان مسروق إذا روىٰ عنها يقول: حدثتني الصِّديقة بنت الصِّديق، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً، وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

وعلىٰ منوالها نسجت الصحابيات الفضليات، وكانت لها جارية اسمها بريرة، لازمتها وأخذت عنها ونعمت بصحبة رسول الله ﷺ في بيتها، وبلغ من فطنتها أنها كانت ذات فراسة صادقة، يروىٰ عن عبدالملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي يا عبدالملك إني أرىٰ فيك خصائص وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليته فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ***«إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق»***.

حتىٰ إذا ما تقدمت الدولة الإسلامية واتسعت رقعتها وكثرت الفتوح، أقبلت النساء علىٰ العلم وأخذن يتفيأن ظلاله ويتنشقن عبيره ويتعلمن فنونه ويتفوقن فيه، حتىٰ رأينا نماذج من نساء عالمات في كل فن من فنون العلم الإسلامي المزدهر في آفاق الأمة الإسلامية.

وكان العلم آنذاك دينياً خالصاً يدور في فلك القرآن والسنة، وحتىٰ العلوم اللسانية التي جدت من بلاغة ونحو وصرف إنما نشأت لتخدم القرآن والسنة.

ولذلك انصرفت همة المتعلمات إلىٰ تلك الفنون العلمية الذائعة.

ولكن ذلك لم يمنع ـ نتيجة الاختلاط بالشعوب الأخرىٰ، وشيوع

الترف وكثرة المال ـ أن نجد وسائل اللهو التي نشأ في ظلها الغناء وآلاته، ومالت بعض الجواري بطبيعتهن إليه، بجانب ما تعلمن من شعر وروين من أدب.

ولكن حديثنا هنا يعني إقبال المرأة على العلم ونبوغها فيه عبر العصور الإسلامية المختلفة، ونستشهد على هذا الحديث ببعض النماذج لنوابغ المتعلمات والعالمات.

لم تقف جهود المرأة عند حد طلب العلم بل تجاوزته بعضهن إلى التشجيع عليه وتيسير سبله ووسائله، وحدثنا الذهبي في كتابه «دول الإسلام» عن ست الشام بنت أيوب أخت صلاح الدين أنها وقفت على طلب العلم مدرستين إحداهما الشامية الكبرى أو البرانية وكانت بظاهر دمشق، والثانية هي الشامية الصغرى أو الجوانية، وقد توفيت ست الشام هذه سنة ٦١٦هـ.

وكانت زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة الرشيد لها مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة منهن ورد عشر القرآن، وكان يسمع في قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، إنه لون من التشجيع على طلب العلم والمعرفة، وكانت لزبيدة هذه مآثر أخرى في سبيل الخير والبر تتحدث عنها كتب التاريخ والتراجم.

وظهر نبوغ كثير من النساء في رواية الحديث وذكر الذهبي في كتابه المذكور كثيراً منهن.

فهذه كريمة بنت أحمد المروزية روت الصحيح وتوفيت بمكة سنة

٤٦٥هـ ولها مائة سنة، ومسندة أصبهان فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية توفيت سنة ٥٢٤هـ ولها دون المائة، ومسندة العراق الكاتبة فخر النساء شهدة بنت الأبري توفيت سنة ٥٧٤ هـ وقد نيفت علىٰ التسعين.

وفي سنة ٧١٦هـ توفيت ست الوزراء ابنة عمر بن أسعد المنجا التنوخية راوية الصحيح ومسند الشافعي ولها ثلاث وتسعون سنة

وتوفيت المعمرة المسندة أسماء بنت محمد بن سالم صصري التغلبية بدمشق عن خمس وتسعين سنة عام ٧٣٣هـ .

والراوية المسندة زينب بنت يحيىٰ بن الشيخ عزالدين بن عبدالسلام روت الكثير وعمرت سبعاً وثمانين سنة وتوفيت سنة ٦٣٥هـ .

وكانت زينب بنت الكمال تلقب بمسندة الوقت توفيت سنة ٧٤٠ هـ وماتت بكراً عذراء وهي ابنة أربع وتسعين سنة.

ولا يستحق لقب المسند إلا من توافرت فيه شروط الضبط الرواية.

قال القاسمي في كتابه: «قواعد التحديث» المسنِد بكسر النون، هو من يروي الحديث بإسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس بله إلا مجرد روايته.

وفي ضوء هذا التعريف يمكن إدراك منزلة هؤلاء النساء العالمات اللاتي وقفن أنفسن علىٰ رواية الأحاديث ومعرفة متونها، وساعدهنّ علىٰ قوة الضبط وجودة الحفظ روح العصر الذي توفرت فيه إمكانات الضبط والرواية، وانتشرت فيه المدارس العلمية المختلفة وكثر فيه العلماء الأجلاء

الذين تتلمذ عليهم طلاب وطالبات حازوا قصب السبق وملكوا ناصية التفوق.

ونلاحظ النماذج السابقة أن الله مد في أعمارهن وإذا اجتمع طول العمر مع حسن العمل والدأب في التحصيل والجد في الدراسة استطاع المتعلم أن يحقق ما يصبو إليه، لا سيما إذا ساعده على ذلك خلق قويم وتقوى وصلاح. ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿***واتقوا الله ويعلمكم الله***﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويذكر لنا ابن خلكان شواهد أخرى على ذلك، فيقدم لنا في «وفيات الأعيان» زينب بنت أبي القاسم عبدالرحمن بن الحسن بن أحمد المعروفة بزينب بنت الشعري. كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم رواية وإجازة سمعت من أبي محمد إسماعيل بن أبي القاسم ابن أبي بكر وجيه ابني طاهر، وأبي المظفر بن عبدالكريم بن هوازن القشيري، وغيرهم، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي، والعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف وغيرهما، وأجازت هي أحمد بن خلكان صاحب وفيات الأعيان، توفيت بمدينة نيسابور سنة ٦١٥هـ وقد نيفت على التسعين.

وممن توفقن في الحديث وروايته خديجة بنت عبدالرحمن المقدسية، سمعت من أبيها ومن القزويني، ومن أحمد بن عبدالواحد والزبيدي وأجاز لها الفتح بن عبدالسلام وأبو منصور، ولدت سنة ٦١٦هـ وتوفيت سنة ٧٠١هـ.

وخديجة بنت محمد بن محمود، سمعت من الزبيدي ثلاثيات البخاري

وسمعت الفخر الأربلي وتوفيت سنة ٦٩٩هـ .

وزينب بنت أحمد بن كامل الصالحية الشيخة الصالحة المسندة، سمعت أبا جعفر بن ظفر زد سمعت عليه الفوائد الغيلانيات، أخذ عنها ابن رشيد بمنزلها بسفح قاسيون وأجازت له سنة ٦٨٤هـ .

وعائشة بنت عيسىٰ بن عبدالله بن أحمد بن قدامة بن مقدام ولدت سنة ٦١١هـ وسمعت أباها وجدها الموفق وأبا عبدالله محمد بن خلف بن راجح وابن الزبيدي وغيرهم وأجازت لابن جابر، وتوفيت سنة ٦٩٧هـ .

إن البيئة العلمية تركت أثرها من غير شك في أبنائها وبناتها، وطبعتهم بطابع العلم الذي اشتهر إذ ذاك وهو رواية الحديث.

ومن اللائي يذكرن بمزيد من الفضل في ذلك زينب ابنة محمد بن عثمان بن عبدالرحمن الدمشقية يروىٰ أنها كانت من أحسن نساء زمانها منظراً وأعذبهن مقالاً وأفصحهن منطقاً وأعلمهن بالفقه والحديث، وكان أبوها يعرف بابن العصيدة حدثت بالإجازة العامة عن فخرالدين بن الحجار وغيره، ومن تلاميذها الحافظ ابن حجر وله منها إجازة وعمرت أكثر من مائة وعشر سنين، وكانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالباً للحديث، ولم يسمع بامرأة مثلها فتحت حلقة درس، واجتمع فيها طلاب مثل حلقة درسها ولها رسائل في الفقه والسنة استند عليها كثير من العلماء.

ولم تقف جهود المرأة في العلم عند حدود الحديث بل تجاوزتها إلىٰ الفقه والنحو والصرف والبيان والعروض ومن المبرزات في ذلك عائشة بنت علي

ابن محمد بن عبدالغني.

فقد كانت عالمة عاملة كاملة تعلمت النحو والبيان والعروض والحديث وأقامت حلقة للتدريس سمعت عن زوجها الحافظ نجم الدين الحسني وعن الإمام ابن الخباز وغيرهما، وانتفع الناس بمعارفها وعلومها، حتى إنها فاقت أهل زمانها.

وعائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر، حضرت النحو والفقه والعروض على جماعة من مشايخ العصر وأخذ عنها جملة من العلماء الأعلام وانتفع بها خلق كثير من الطالبين ولها ديوان شعر بديع، اشتمل على فرائد النظم والنثر. ولها قصيدة في البديع سارت بذكراها الركبان، استقرأت فيها صنوف البديع في أسلوب غير متكلف توفيت في القرن العاشر.

ولم يكن الشعر بمنأى عن العلم في العصور الغابرة، بل إن كبار الشعراء والأدباء كانوا علماء أجلاء ولعل خير من يستشهد بهن في ذلك السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما قال عنها ابن خلكان: كانت سيدة نساء عصرها وأجملهن وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً، ولها نوادر طريفة مع الشعراء، من ذلك ما يروى أنها وقفت على عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء والشعراء وكان صالحاً زاهداً فقالت له: أنت القائل:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي
ذهبت نحو سقاء الماء أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره
فمن لنار على الأحشاء تتقد

فقال نعم، فقالت: وأنت القائل:

قالــت وأبــشــشــتــهــا سري وبــحــت بــه
قد كنــت عنـــدي تحت الســـتر فاســـتر
ألـــســـت تبصر من حولي فقـــلت لها
غطىٰ هواك ومـــا ألـــقـــىٰ علىٰ بصري

قال نعم: فالتفتت إلىٰ جواريها وقالت: هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم.

وكان معظم نساء أهل البيت عالمات عارفات، وقد عرف عن السيدة نفيسة بنت حسن الأنور أنها من الصالحات التقيات العالمات البارعات في العلم، ويروىٰ أن الإمام الشافعي رضي الله عنه حين دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث ولما توفي رثته بقولها: رحمه الله كان يحسن الوضوء، وهو رثاء بليغ يدل علىٰ معرفة كاملة، لأن الوضوء أساس العبادة وإذا أتقن الأساس أتقن كل شيء بعده.

ومن أديبات النساء العالمات اللاتي أوردهن ياقوت الحموي في كتابه القيم «معجم الأدباء» حفصة بنت الحاج الركوني، قال عنها: إنها شاعرة أديبة من أهل غرناطة، ذات حسب وأدب وجمال ومال، جيدة البديهة رقيقة الشعر، أستاذة وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، سألها يوماً أن تنشده فقالت ارتجالاً:

يا سيـــد الـــنـــاس يا من
يؤمـــل الـــنـــاس رفـــده

أمـــــن على بطرس
يكـــون للدهـــر عده . .
تخط يمـنـــاك فيـــه
الحـــمـــد لله وحـــده

أشارت بذلك إلىٰ العلامة السلطانية فإن السلطان كان يكتب في رأس المنشور بخط غليظ : الحمد لله وحده.

وبرعت بعض النساء في الخط، وكان الخط حينئذ علماً له أصوله وأساتذته، ومن البارعات في هذا الفن اللاتي ذكرهن ياقوت في معجمه أم الفضل بنت الحسن بن علي العطار، صاحبة الخط المعروف والتي توفيت سنة ٤٨٠هـ ، وكانت تكتب علىٰ طريقة ابن البواب الذي هذب طريقته ابن مقلة فتفوق عليه، وكتب الناس علىٰ طريقة أم الفضل، وإلىٰ جانب شهرتها في الكتابة كانت راوية للحديث الشريف.

ومنهن الكاتبة عائشة بنت أحمد القرطبية، قال ابن حيان: لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علماً وفهماً وأدباً وفصاحة وشعراً، وكانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف توفيت سنة ٤٠٠هـ ومما يقال عنها أنها من عجائب زمانها وغرائب أوانها.

ومما يحسن الختام به ما يجب أن يكون موضع الاعتبار عند ربات الحجال وهو الخلق القويم وحسن المعاشرة الزوجية ومعرفة حق الزوج وهذا من أعظم الفقه وأنفع العلم، ولنساء العرب العاقلات قديماً وصايا

لبناتهن في ذلك تكتب بماء الذهب وتنتفع بها من تريد أن تبني لنفسها وأمتها مجداً عريضاً، واعتنىٰ الإسلام بذلك عناية بالغة.

حدث شريح القاضي عن زوجته زينب بنت حدير فقال: خطبت زوجتي إلىٰ عمها فزوجني إياها وكانت من بني تميم، قال: فلما بلغت منزلي حتىٰ ندمت وقلت: تزوجت إلىٰ أغلظ العرب وأجفاها وهممت بطلاقها ولكني تريثت وقلت: إن رأيت ما أحب أمسكتها وإلا طلقتها، فلما زفت إلي قلت: يا هذه إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي وتصلي ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا من شرها، فقمت أصلي ثم التفت فإذا هي خلفي، فصليت، وحين اقتربت منها قالت: على رسلك، فأمسكت فقالت: إن الحمد لله وحده أحمده وأستعينه، إني امرأة غريبة وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأنجزه عنه، فقلت الحمد لله وصلىٰ الله علىٰ محمد، قدمت خير مقدم على أهل دار زوجك وأنت سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا.

ثم زارتنا أمها على رأس الحول فسألتني عن حال زوجتي معي فقلت: كخير امرأة، إنها ابنتك قد كفينا الرياضة وأحسنت الأدب قال شريح: فما غضبت عليها قط إلا مرة واحدة كنت لها ظالماً فيها.

إن هذا هو حسن التبعل الذي أشار إليه الحديث الشريف المذكور آنفاً في قصة أسماء الأشهلية، وهو أعظم أنواع الفقه ورأس الفضائل، وقديماً قالوا بالأدب يطلب العلم، والأدب يفضل العلم.

إن الفتاة إذا جمعت بين العلم والخلق فقد بلغت أقصىٰ ما يطمح إليه

المجتمع السوي السليم، وإذا ما تفوقت المرأة في عصرنا في علوم الدنيا فعليها أن تتذكر أن هناك جانباً مهماً يجب عليها أن تتفوق فيه، ذلك هو علوم الدين، وبذلك تكون قد أحكمت أمرها وكملت نفسها، وأرضت ربها، وأدت رسالتها، وقدمت للدين والأمة أعظم الفتيان، وأكمل الرجال، وخير الأجيال.

المرأة ما لها وما عليها

في مختصر مفيد، وكلمات جامعة معدودة، يبين لنا الدكتور مصطفىٰ السباعي في كتابه القيم «المرأة بين الفقه والقانون» حق المرأة، وواجبها، وحقها عند غيرها، يلخص لنا كل ذلك فيقول رحمه الله تعالىٰ:

يجب أن تهيء للقيام بالإصلاح الاجتماعي والأخلاقي في الأوساط النسائية، فعائلاتنا وأمهاتنا ونساؤنا في أشد الحاجة، إلىٰ وعي حقيقي تعرف به المرأة كيف تؤدي رسالتها علىٰ أكمل وجه، والمرأة أقدر من الرجل وأصلح منه للقيام بهذا العمل الإصلاحي العظيم في أوساط النساء.

يجب أن لا يسمح للمرأة بالاشتغال خارج منزلها، إلا حين تكون فقيرة لا عائل لها من زوج أو أب أو قريب، وذلك إلىٰ أن ينفذ نظام الإسلام القاضي بإعالة مثل هؤلاء من بيت المال، دون إلجائهن إلىٰ ذل الكسب وإرهاق مطالب العيش.

يجب منع التبرج وإبداء ما حرّم الله إبداءه من جسمها وزينتها، ويجب وضع القوانين التي تحقق ذلك، ومعاقبة من تصرّ علىٰ إبداء معالم فتنتها للرجال بعقوبات متناسبة مع وضع المرأة ونفسيتها.

يجب أن تهيء لأداء رسالتها الاجتماعية النبيلة، بما يجعل منها امرأة

صالحة لتكوين الأسرة والإشراف على شئون البيت والأولاد.

يجب منع اختلاطها بالرجال الأجانب عنها، إلا ما تقتضيه الضرورة الماسة في حدود الأخلاق الإسلامية، ومن ذلك أداؤها للعبادات في المساجد، وتلقيها العلم في الجامعات.

يجب أن تهيء لأداء رسالتها الاجتماعية النبيلة، بما يجعل منها امرأة صالحة لتكوين الأسرة والإشراف على شئون البيت والأولاد.

يجب عدم إفساد سعادتها بالاشتغال بالسياسة، لتصان داخل المجتمع - وهو مجموع العائلات فيه - ولتفرّغ لأداء رسالتها الكبرى.

يجب تعليمها، وجعل برامج التعليم للشبان بما يهيؤها لحياتها في المستقبل.

يجب أن تتمتع بجميع الحقوق، التي منحها إياها الإسلام.

يجب العناية بإعدادها لأيام النكبات والحروب، فنحن معرضون لحروب دامية إقليمية أو عالمية، فيجب أن تتعلم ما يتعلق بالدفاع المدني، والإسعاف المنزلي وغيره، وأن تتدرب على استعمال السلاح وإتقان الرمي والدفاع، وكل ذلك يجب أن يتم في حدود الأخلاق الإسلامية.

يجب أن يضيق من نطاق توظيفها في الدولة، بحيث لا توظف إلا في وظائف تتفق مع رسالتها ومع طبيعتها، كالتطبيب للنساء، وتطبيب الأطفال، والتعليم في مدارس الأطفال، وفي المدارس الثانوية للبنات وما أشبهها من أعمال التوجيه الاجتماعي للأسر والعائلات.

من المسؤول عن انحراف كثير من نساء المسلمين

من المسؤول عن انحراف الكثير من نساء المسلمين عن الإسلام؟

١ـ نحن الرجال آباءً وأزواجاً مسؤولون أولاً عن انحراف نسائنا عن الإسلام:

أ ـ فقد جهلنا إسلامنا جهلاً مُبْكِياً، لقد اعتبرنا بعض أحكامه وقواعده ـ كالحجاب وعدم الاختلاط ـ مظاهر من تقاليد وعادات، ولا بأس بالمظاهر والتقاليد أن تهزم أمام مظاهر جديدة وتقاليد جديدة كتقاليد بناء البيوت ولبس الثياب وإعداد الطعام، ومَنْ منا ـ إلا ما رحم ربك ـ لا يطلق علىٰ كثير من أحكام الإسلام بما فيها الحجاب أنها تقاليد ومظاهر وعادات موروثة..؟!.

ب ـ فهمنا الإسلام فهماً قاصراً ضيّقاً علىٰ أساس من الإيمان الصوري وعبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج.. ثم ولغنا موالغ الآخرين في أكل الربا والغش والكذب وسوء القصد.. والسفور والفجور إلا ما رحم ربك.

ج ـ أخذنا بما أشاع المستغربون في بلادنا عن مدنية الآخرين وتقدمهم

المادي، وكيف أن المرأة عندهم مكرّمة محترمة، حتىٰ إنهم إذا أرادوا الكلام في مجتمعاتهم نادوا النساء قبل الرجال، وقدَّموا النساء في دخول البيوت والخروج منها، مع أنهم تزوَّجوهنَّ جعلوهنَّ في ألقابهنَّ تابعات للرجال.. ولكن!!.

د ـ وأنهم إنما تهذبت أخلاقهم حين خالطوا النساء وجالسوهنَّ، فكان أن تأدبوا في الحديث، وضعفت فيهم الشهوات المغرضة وسوء القصد، لذا فإن مجتمعاتهم طاهرة نقية، مع أن إحصاءً أجري قبل فترة وجيزة بفرنسا عن الخيانات الزوجية كان حصاده أن نسبة الزانيات من الزوجات بلغت ٥٠٪ فقط!.

٢ـ ثم الكافر المستعبد الذي احتل بلاد المسلمين وفعل فيها ما فعل من:

أ ـ إلغاء الأحكام الإسلامية في الحكم بين الناس ليجعل مكانها قوانينه الأرضية، وما وضع من نظمه التعليمية والتربوية.

ب ـ اصطناع أبواق يصرفون المسلمين عن حياتهم الإسلامية خاصة في ميدان الأسرة.

ج ـ تهويل حال المسلمين وتأخرهم، وإن سبب ذلك هو تنفس المجتمع برئة واحدة، وحبس الرئة الأخرىٰ ـ أي المرأة ـ لا تخالط الرجال كما تفعل المرأة عند الآخرين.

د ـ تسليط الأضواء وفتح مجالات النشر.. والشهرة للذين يزينون حياة الآخرين كذباً وزوراً، إقرأ ما كتبه أحدهم حين كان في باريس إلىٰ صديق له في بلده ونشر ذلك للناس.

قال: «*في باريس لا يسمح بإزعاج العُشَّاق.. وظل الفتىٰ يقبل الفتاة وكأننا لسنا هنا وكأنهم ليسوا هناك، لا تحسب أن هذا فِسْق فقد يكون هذا العناق مقدمة زواج.. اطمئن فأنا أعتقد أن هذا الغزل المكشوف أسلم وأشرف من تلك السرائر المظلمة والقلوب السود التي تنطوي عليها القذرة الفجرة ممَّن يدَّعون الفضيلة..*»!.

وكتب أحدهم ـ وهو الذي كتب حياة الرسول ﷺ كما يكتب الآخرون وأخلاها من كل معجزة ـ: «إن الثورة الفرنسية جعلت بين الرجل والمرأة من المساواة والإخاء ما جعلهما يتبادلان العواطف والمنافع كما يتبادلها رجلان.. وما دامت الحرية الحقَّة تفترض في الناس الطهر والبراءة فليكن النظر العام للقبلات أنها قبلات إنسانية كقبلة الأخ لأخته».

وحوادث الزنىٰ هناك في الحدائق العامة.. وفي الفنادق، والبيوت الخاصة.. والمسابح والنوادي الليلية.. ثم أولاد الزنىٰ ويبلغون عشرات الألوف في كل عام تبيِّن مدىٰ صدق أولئك الكذبة!.

٣ـ ثم اليهود الساعون لإفساد البشرية جميعها ليسهل عليهم قيادها بعد ذلك لمصالحها وهي إقامة ملك داود وحكم العالم:

ونظرة إلىٰ كتاب «أوقفوا هذا السرطان» للدكتور سيف الدين البستاني ـ الذي حلَّل فيه بروتوكولات اليهود ومساعيهم في إفساد المرأة وتحريرها ـ تبين حقيقة إفساد اليهود للمرأة المسلمة في كثير من صيغ تجمعاتها وشعاراتها.

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون:

سيظل «فرويد» الذي زعم أن الإنسان من نسل الحيوان ثم القرد يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس كيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدَّس، ويصبح همّه الأكبر هو: إرواء الغريزة الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه.

٤ـ مروجو المنكرات ومحركو الشهوات من عبدة الشيطان.

أ ـ في تزيين الفواحش والموبقات باسم الحب.. والخطبة، في القصص المخترعة أو المترجمة من حياة الآخرين، ومن يقرأ بعض ما كتبه صاحب «الوسادة الخالية» يتيقّن حقاً أنه يكتب في أدب الفراش.. وأن حقاً على حكومات المسلمين أن تقيم فيه وأمثاله حكم الله تعالىٰ بالعقوبة التي تراها زاجرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿*إنَّ الذين يُحبُّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة*﴾ [النور: ١٩].

ج ـ في تكريم الفاسقات وتقديم أسباب الحياة الرفيهة إليهن.. كان في الممثلات والمغنيات، في المحظيات والعشيقات.. كان في ملكات الجمال أو الكاتبات الداعرات.

٥ـ إيثار الشهوات العاجلة من الرجال في النساء ومن النساء في الرجال، تبعاً لدعوة الشيطان إلىٰ الإضلال، وقسمه علىٰ ذلك حتى يكون أتباعه معه في النار أبد الآبدين.

قال الفقيه الوزير العباسي «ابن هُبيرة» لبعض من يأمر بالمعروف: «اجتهد أن تستر العُصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام،

وأولىٰ الأمور ستر العيوب» .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ: «إن مشاهدة الفسق تهوِّن أمر المعصية علىٰ القلب، وتبعد نفرة القلب عنها» .

٦ـ تقليد الآخرين في سائر شؤون الحياة، ولقد جرأت امرأة بعد الحرب العالمية الأولىٰ فذهبت إلىٰ أوربا، وهناك التقت بنساء، وتنظيمات، ثم عادت إلىٰ بلدها وأخذت تدعو إلىٰ ضرورة خروج المرأة من بيتها، وضرورة إعطائها حقوقها، وليس إلىٰ ضرورة تطبيق رعاية الإسلام لها وحماية دينها وعرضها، ثم أسست الاتحاد النسائي .

وكان هذا الاتحاد في اجتماعاته الدورية يدعو إلىٰ شيء من الخروج علىٰ أحكام الإسلام، سواء كان في تعدد الزوجات، أو الطلاق، أو طاعة المرأة للزوج، بل كان منها مرّة طلب إلغاء نون النسوة حتىٰ لا يبقىٰ فرق بين الرجل والمرأة؟

وضحكت نساء الآخرين علىٰ نسائنا فقلنَ لهنّ: إن النساء مثل الرجال سواء بسواء، فصدَّقنَ، وكذَّبنَ العلم . . والدين، والواقع، وهُنَّ يعلمنَ في قرارة نفوسهن أنهن كاذبات .

اقرؤوا ما يقول الشيوعي «نيميلاف»: إذا قيل في هذه الأيام: إن المرأة يجب أن تمنح في دائرة التمدّن حقوقاً محدودة لم يؤيده من الرجال إلا الأقل، ونحن بأنفسنا ممن يخالفون هذا الرأي، ولكن ينبغي أن لا نخدع أنفسنا برغم أن إقامة الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هيِّن ميسور، الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا في

روسيا السوفيتية، ولم يوضع في العالم من القوانين السمحة البريئة من التعصب في هذا الباب مثل ما وضع عندنا، ولكن الحقَّ مع ذلك كله أن منزلة المرأة قلَّما تبدلت في الأسرة، ثم قال:

ولو أننا نتتبع في هذا الأمر أفكار عالم طبيعي أو مصنف أو طالب أو تاجر شيوعي خالص العقيدة؛ لانكشف لنا عن غير بعد أنه لا يرىٰ المرأة كفوءاً له أو ندّاً يماثله، ثم قال: وما السبب في ذلك؟ السبب في ذلك أن المبادىء الانقلابية تصطدم في هذا النظام بأمر واقع هام، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار علم الأحياء، ولم تكلفها الفطْرة بأعباء سواء. أهـ .

وقراءة فقرات من كتاب «الإنسان ذلك المجهول» تأليف «الكسيس كاريل» تبيِّن الفروق الكثيرة بين الرجل والمرأة من حين يكون نطفة. . إلىٰ أبد الدهر.

قال رسول الله ﷺ: *«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتىٰ لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه»* قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: *«فمن»*. أخرجه البخاري.

٧ـ اتباع خطوات الشيطان الذي يدعو حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير، يسعىٰ إلىٰ تبديل خلق الله، وإلىٰ الانحراف بالرجل والمرأة عن أمر الله تعالىٰ وشرعه، كي يشقوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، جزاء الإعراض عن الله تعالىٰ وشرعه.

٨ـ تنظيمات بعض الحكومات في جعل التعليم واحداً للذكور والإناث،

وتهيئة فرص الوظائف للرجال والنساء علىٰ حدٍّ سواء، إن لم نقل بتفضيل النساء أحياناً، والسكوت عن محاربة الرذيلة والفجور ومظاهره.

قبل أن تُزف ابنة عمر بن عبدالعزيز إلىٰ زوجها طلبت أن تراه وتتحدث إليه، فلما اجتمعا سألته:

أي خطيبي وزوجي، كم معركة مع المسلمين حاربت، وكم في البَرّ وكم في البحر؟ أجاب في خجل وأسىٰ: والله يا ابنة أمير المؤمنين، ما دخلت إلا ثلاثين معركة بَرّاً وجرح صدري كله وكذلك جوانبي ـ وكان المسلمون يومئذ في حرب ـ فقالت له: يا رجل، اذهب مع المؤمنين إلىٰ الميدان فإن استشهدت فإني ألقاك يوم عيد الله، وإن عدت فلابنة الخليفة الشرف أن يكون زوجها مجاهداً في سبيل الله تعالىٰ.

الخلاف بين الزوجين وعلاجه

يندر في الواقع أن يعيش زوجان دهراً من عمرهما دون أن تطرأ في حياتهما مشكلات وخلافات.

ولذلك فعلينا أن نتقبل الخلافات الزوجية على أنه أمر لا مفر منه أو هو شر لا بد منه، ولا يعني ذلك أن نستسلم للخلاف وألا نأبه له عند حدوثه، فالخلاف شر وهو يعكر النفوس ويقتل بهجة الحياة الزوجية وعلينا أن نفر منه بكل سبيل، ولكن ينبغي أيضاً أن لا نظن أن الكارثة قد وقعت عند أي خلاف مهما كان، ويجب أن نعلم أيضاً أن لكل جرح دواء وعلينا أن نحاول دائماً ولا نيأس من علاجه مطلقاً وفوق هذه القاعدة نستطيع أن نؤسس حياة زوجية سعيدة.

وهذه مجموعة من قواعد وإرشادات ونصائح أرجو إن اتبعها الزوجان أن يسعدا ويقضيا على كل خلاف ينشأ بينهما:

أولاً: إذا أردت أن تحكم حكماً صحيحاً في أي خلاف فضع نفسك موضع الآخر، وقدر ظروفه وإمكانياته تماماً ثم احكم عليه وبهذا تعلم موقفك أنت ممن يخالفك في شيء ما.

ثانياً: على الرجال أن يعلموا تماماً أن في المرأة، جنس المرأة عوجاً بوجه من الوجوه وهذا ليس فيه تعصب وإنما هو طبيعة الخلق والفطرة التي فطر

الله المرأة عليها، ولا يمكن أن تكتمل المرأة من كل وجه خلقاً وطباعاً ولو أنها كانت كاملة لعبدها الرجال من دون الله عز وجل وهذا معنىٰ حديث النبي ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه وإن جئت تقيمه كسرته، وإن استمتعتم بهن استمتعم بهن وفيهن عوج**» رواه البخاري وغيره.

وأخذ هذا الأمر علىٰ علاته يفيد الرجال كثيراً فافتراض الكمال في المرأة ومحاسبتها علىٰ هذا النحو يعني التغاضي عن كثير من النقص ضار بالمرأة والرجل كذلك، وهذا الذي لا بد وأن يعتور الحياة الزوجية ومطالبة المرأة بإكمال هذا النقص مطالبتها بالمستحيل.

ثالثاً: كم من الرجال من يرزقون زوجات هن أرجح منهم عقولاً وأكثر منهم صبراً وحكمة وأكثر منهم سداد رأي ولا يخرق هذا القاعدة العامة في الرجال والنساء، ولا يعني هذا أيضاً أن تأخذ المرأة صلاحيات الرجل وأن يقف الرجل من عقد الزواج مكان المرأة لأن هذا يعني إفساداً للفطرة، وهدماً للسعادة الزوجية وأسلوب إصلاح المرأة لزوجها عند نشوزه وإعراضه هو النصح والاستعانة عليه بالأقربين كما قال تعالىٰ: ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير**﴾ [النساء: ١٢٨]، وأما أن تقوم المرأة بتقويم عوج زوجها ونشوزه وإعراضه بتعاليها عليه، وهجرها لفراشه أو بضربه وتأديبه فذلك هو غاية الفساد والإفساد.

رابعاً: الرجل الذي أعطىٰ حق القوامة عليه الواجب الأول في أن يكون راعياً وقواماً، ولا يكون راعياً وقواماً إلا بأن يكون قدوة في نفسه،

قادراً علىٰ تقويم غيره.

والقوامة لا تعني البطش والتعالي وإنما تعني الرعاية والحفظ والتربة والرأفة والرحمة ووضع كل أمر في موضعه شدة وليناً، ولا شك أن سوء استخدام الرجل لصلاحياته المعطاة له يؤدي إلىٰ النقيض.

خامساً: الوسائل التي أعطاها الله وأرشد إليها الرجال لتقويم نشوز زوجاتهم يتلخص في الأمور الأربعة الآتية:

١ ـ الوعظ: وهو كلام رقيق يصيب القلب، والوعظ نافع للزوجة إذا جاء في الوقت المناسب بالقدر المناسب، وأما أن يجعل الرجل من نفسه خطيباً بالليل والنهار فذاك فساد وإفساد فالوعظ في التربية كالسمّ في الدواء قليله يفيد وكثيره يقتل الشعور والإحساس.

٢ ـ الهجران في المضاجع: وهو ترك فراش الزوجة وقت النوم فقط وهو نافع إذا لم تفلح الوسيلة السابقة.

٣ ـ الضرب: والمقصود به إيقاظ شعور امرأة بليدة الطبع لم تستفد شيئاً بالوسيلتين الآنفتين وهي وسيلة لا يلجأ إليها الأخيار عادة كما قال النبي ﷺ عندما اشتكىٰ إليه بعض النساء من ضرب أزواجهن لهن وعظ الرجال وقال: «**إنه قد طاف بآل محمد نساء يشتكين أزواجهن**. ثم قال: **وليس أولئك بخياركم**» أي من يضرب زوجته.

وبالطبع فالمقصود بالضرب هو غير المبرح الذي يتقي صاحبه به الوجه وفي تحريم ضرب الوجه أحاديث كثيرة مشهورة.

٤ ـ الاستعانة بالمصلحين من أقارب الزوج والزوجة وهذا آخر المطاف إذا عجز الرجل عن التقويم فعليه أن يستعين بحكم من أهله وحكم من أهل زوجته فيكونا أقدر على تفهم مشاكلهما لأن صاحب المشكلة كثيراً ما يعمى عن حلها.

وفي هذه الأمور الأربعة الآنفة جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً**﴾ [النساء: ٣٤ـ٣٥].

الطاعة الكاملة
في التزام الحجاب

ماذا أكتب إليك يا من لمس الإيمان شغاف قلبك فاستجبت لأوامر ربك طائعة؟ ماذا أكتب إليك يا من رضيت بالله ربّاً والإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فأديت ما افترضه الله عليك من صحة توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج، وزدت على ذلك بالنوافل من صدقة، وغير ذلك، ولكنك أبيتِ الالتزام بالحجاب؟

خرجت حاسرة الرأس، بادية الأذرع والسيقان والعنق، وظننتِ أنَّ ما أديتهِ من طاعات تكفي لرضاء الله عنك، واعتبرتِ أن الحجاب مظهرٌ أجوفٌ بينما هو فريضةٌ من أهم ما فرضه الله تعالى على المرأة، إذ قرن النهي عن التبرج (الذي هو ضد الحجاب) بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالى:

﴿وقرن في بيوتكنَ ولا تبرّجنَ تبرّج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فكيف بالله يمكن تمييز المسلمة المؤمنة عن غيرها إلا بأداء ما يفرضه

عليها إسلامها من ستر وصيانة وحجاب؟

إن التزامك بأداء الصلاة والصيام وغير ذلك مما أمر به الشرع يجب أن يلزمك بفريضة الحجاب، ألم تسمعي قول الله عز وجل:

﴿اتل ما أوحي من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهل هناك فحشاء أو منكر أكثر من خروجك كاسية عارية؟

إن الصلاة تهذب الخلق، وترقق القلب، وتستر العورة، وتنهىٰ صاحبها عن كل منكر وزور، وتطهره من الرجس والدنس، فإذا شاهدنا إنساناً يصلي لكنه مع هذه الصلاة يأكل أموال الناس بالباطل، أو يغتابهم أو يظلمهم أو يعتدي عليهم أو... أو... إلىٰ آخر القائمة من الأعمال التي تتنافىٰ مع أوامر الشرع، بل ربما يتخذ الصلاة ستاراً يتستر به علىٰ كثير من المنكرات التي تتناقض مع ما يجب أن يكون عليه خلق المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم ويزكي ويحج، مما يؤدي إلىٰ إضعاف أو انعدام ثقة الناس به، فتسوء سمعته، ويتسبب في الإساءة إلىٰ سمعة الملتزمين بأوامر الله.

هذا كله إلىٰ جانب أن تؤدي بعض ما أمرها الله به وتمتنع عن البعض الآخر كالحجاب مثلاً، تكون حالها حال من يختار من الشرع ما يعجبه، ويترك ما لا يعجبه، فتصبح في مصاف من ذمّهم الله تعالىٰ بقوله:

﴿... أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل

ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة: ٨٥].

وما كان ينبغي عليك يا أختاه! إلا الاستجابة لجميع أوامر الله خشية أن تصبحي من الضالين، يقول تعالى:

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

المتحجبات المتبرجات:

وهذا الصنف من النساء يشمل النساء المتدينات الصالحات اللاتي أخطأن في الطريق إلى الحجاب الشرعي الصحيح.

إنهن نساء مسلمات مؤديات لما افترضه الله عليهن من عبادات وأعمال صالحة، بالإضافة إلى استجابتهن لأمر الله ورسوله بارتداء الحجاب؛ إلا أن حجابهن هذا بحاجة إلى حجاب!

إنه ليس زياً شرعياً بالمعنى الصحيح، وإن ظننت لابسته أنها متحجبة، إن ما ترتديه هذه المرأة من أزياء فاتنة، وملابس مزركشة زاهية، تلفت الأنظار، وتبهج العيون لهي أبعد ما تكون عن صفة الجلباب الذي ألزم الله تعالى به نساء المؤمنين، حيث أنه لا يجب أن يكون زينة في نفسه، بل من قماش سميك خالٍ من الزخارف والألوان الملفتة للنظر، وإنه وإن كان طويلاً سابغاً إلا أنه عندما يكون محدداً لأعضاء الجسم بحيث تبدو

منه استدارة الصدر، وحجم الأكتاف، ومحيط الخصر، وما إلىٰ ذلك من أعضاء الجسم؛ فإن صاحبته تكون «كاسية عارية»؛ لأن الملابس التي تحدد أعضاء الجسم، أو تكون شفافة يبدو ما تحتها تعطي لمرتديها تلك الصفة.

وإذا نهيت الواحدة منهن عمّا هي عليه من هيئة قالت مستنكرة: أليس الحجاب أن نرتدي ثوباً طويلاً وبأكمام طويلة مع تغطية الرأس بأي غطاء؟

ولو ألقينا نظرة علىٰ ثوبها الطويل ذلك، لوجدناه فاتناً مغرياً مزخرفاً منقوشاً بالرسومات التي تزيد من جمال الثوب وفتنته، وكم من الأثواب الطويلة ما يضفي علىٰ المرأة جمالًا وجاذبية، كان الأولىٰ بها أن تقصرهما علىٰ زوجها، أو من سمح الله لها بإبداء زينتها عليهم، ولكنها ويا للأسف! تعرض ذلك للجميع.

إن للحجاب شروطه وأوصافه، ومن أهمها ألا يكون زينة في نفسه، يلفت الأنظار، ويستهوي القلوب، لأن الهدف من الحجاب هو إخفاء الزينة لا إظهارها، كما أن أخمرة الرأس الفاتنة التي ترتديها هذه الفئة من النساء تنفي عنهن صفة الحجاب الشرعي، فمنهن من تعقد خمارها «غطاء رأسها» بطريقة جذابة كأن تلفه من جهة لأخرىٰ ثم تشبكه بالدبابيس ليتدلىٰ جزء منه من أحد الجانبين، أو تضيف إليه بعض الحلي أو الخرز اللامع، أو تضع علىٰ رأسها ما يشبه بالعمامة وهو المعروف باسم «بونيه» وغير ذلك من أسماء تختلف باختلاف البلاد، لكن الهيئة واحدة، وهي غطاء يوضع علىٰ قدر الرأس ويُربط أو يكون مخيطاً بطريقة تشبه العمائم للرجال، أو تلبس طاقية وفوقها غطاء الرأس مما يعطي لرأسها هيئة عظيمة

ملفتة للنظر تسحر العيون وتأخذ بالألباب، حتىٰ أنك لو رأيتها بغير حجابها المزعوم لم تجدها بتلك الصورة الساحرة الفاتنة التي لا يصح أن يراها إلا الزوج والمحارم.

إن هذه الأخمرة «أغطية الرأس» السابق ذكرها، وما شابهها من هيئات هي من صفات الكاسيات العاريات التي تبدو رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة! والبخت معناها الجمال، أما رأيتِ يا أختاه! كيف يبدو سنام الجمل بارزاً جميلاً؟ وها هو رأسك مثله، قد برز بهذه الأخمرة القصيرة، وتحدد شكله وعَظُم، مع أن الخمار الحقيقي يجب أن يكون من قماش غير شفاف، ولا لافت للنظر، ولا مزين بالحلي أو الخرز أو غير ذلك من فنون التزيين، ثم إنه يجب أن ينسدل من الرأس علىٰ الصدر والأكتاف، ويغطي العنق، ومواضع الزينة، وهذا هو أقل ما يجب من غطاء للرأس، يكون الرأس به متصلاً بغيره من الأجزاء، يلفهم ثوب واحد.

أما الحجاب الحقيقي؛ فهو الجلباب وهو عبارة عن ثوب أكبر من الخمار الذي ذكرته، وينسدل من الرأس ليغطي الوجه، والأكتاف، والصدر، والخصر، والأرداف، ويشمل الجسم كله، ويكون من قماش غير شفاف، ولا ملفت للنظر.

ومما يزيد في البلاء أن نرىٰ بعض المرتديات لهذا الحجاب المزعوم قد أبرزن حليهن للعيون، وصبغن وجوههن بمساحيق التجميل، ونتفن من شعر الحواجب، كما أن بعضهن لا تتورع عن الاختلاط بالرجال، ومجالستهم، ومضاحكتهم، كما يستقبلن الضيوف من الرجال مع مصافحتهم، وكل ذلك معلوم الحرمة. وهو في الوقت نفسه يسيء إلىٰ

سمعة الحجاب والمتحجبات جميعاً دون تمييز.

وقد عرضت بعض الصحف والمجلات ملابس ليس فيها أدنىٰ صفة من الحجاب إلا أنها طويلة وبأكمام فحسب، مع أن تلك الملابس يمكن أن تكون ملابس للسهرة تخص المتبرجات وكُتب تحتها «أزياء للمتحجبات»!

كما قام مصور نصراني يعمل بصحيفة كبرىٰ بإحدىٰ الدول العربية بعرض لقطات لأغطية رأس مزينة بالريش والحلي، وكأنها قبعة علىٰ رأس عروس فاتنة، وكتب تحتها «أغطية رأس للمتحجبات»!

أهذا هو الحجاب؟ موضة وأزياء وخطوط وألوان؟!

أسموه موضة؛ حتىٰ يمسحوه وقتما أرادوا، كما يمسحون موضاتهم التي تذهب وتجيء تلاعباً بعقول الشباب والشابات، وجعلوه زياً من الأزياء، لكي ينـزعوا من نفوس المسلمات هيئته الحقيقية، وهيبته، ويصرفوهن عن الحجاب الصحيح إلىٰ التبرج القبيح!

وينتشر حجاب آخر يغطي جميع جسم المرأة بما في ذلك وجهها، ولكنه قصير يُبدي قدميها ومعظم ساقيها، فتقوم بتغطيتها بالجوارب الرقيقة الشفافة، فبالله أهكذا يكون الحجاب؟

ومن المنتشر أيضاً في بلادنا أن تلبس المرأة العباءة فوق ثيابها؛ إما مع كشف الوجه، أو مع تغطية الوجه، بينما ترفعها صاحبتها إلىٰ خصرها مع ترك ثيابها المزينة المذهّبة التي تشبه أثواب العرائس بادية للعيون، لافتة للأنظار، مع إظهار حليها وخضاب يديها؛ لتزيد من تلك الفتنة، وكل

ذلك ليس من الدين في شيء.

كما نشاهد كذلك بعض النساء المدعيات للحجاب يقمن بلبس إزار أسود سفلي، ولكنه مقسم إلىٰ كسرات، مع تغطية الرأس والوجه بغطاء ينسدل إلىٰ ما تحت الصدر بقليل من نسيج شفاف منقوش بنفس اللون الأسود، ولكن علىٰ هيئة القلوب، أو الورود، أو أشكال أخرىٰ ملفتة للنظر، وتسير صاحبة هذه الملابس، فتموج كسرات إزارها «تنورتها» وكأنها راقصة تسير علىٰ إيقاع مشيتها، كما يبدو تحديد خصرها لقصر خمارها، وأحياناً يبدو ذراعاها العاريتان من الثياب المكتسيتان بالحلي، المزينتان بالخضاب، وما هذا بالحجاب الصحيح.

وهناك من المتحجبات بزي يستر البدن كله ما عدا الوجه والكفين، يُسمىٰ «بالطو شرعي» وانتشر كزي شرعي بين النساء إلا أن لابسته تغطي رأسها بغطاء قصير «إيشارب»، أو بطاقية وإيشارب؛ أو بونيه مما سبق ذكره من أخمرة قصيرة فاتنة، فضلاً عن أن ذلك الخمار لا ينسدل ليغطي الأكتاف والعنق والصدر، بالإضافة إلىٰ أنه «أي: البالطو» أصبح يُزين بالأشرطة الملونة، ويُتفن في قصه قصّات مختلفة جذابة، مما يدفع به بعيداً عن الهيئة الصحيحة للحجاب.

وخلاصة الأمر في كل ما سبق؛ أن الحجاب ليس ستراً لللحم فحسب كما تظنه الكثيرات؛ بل هو ستر المفاتن كلها ظاهرة وباطنة بمواصفات محددة شرعاً، وإنني لا أهاجم بها ذكرته المتدينات، أو أفضح عيوبهن، فإنهن وإن كُنَّ مخطئات في حجابهن هذا، فإن الأمل كبير في استجابتهم للحق وما فيه مصلحتهن الحقيقية، من نبذ للتبرج، والتزام بالحجاب

الصحيح، فتلك هي صفة المؤمنين والمؤمنات، وما يكون قولهم إلا سمعنا وأطعنا فالحق أحق أن يتبع، وما ينبغي أن نستمر في اتباع الخطأ عناداً ومكابرة وتقصيراً وتقليداً للمتبرجات الماجنات.

وإنني أناشد النساء من فئة المتحجبات المتبرجات بتكملة الطريق للوصول إلىٰ الحجاب الذي يُرضي لسمعة المتحجبات الحقيقيات، واحترازاً من أن يصبحن من النسوة اللاتي ذمّهن رسول الله ﷺ بقوله: «*صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا*» رواه مسلم. وفي رواية «*من مسيرة خمسمائة عام*»!

المتحجبات المزيفات:

وهؤلاء أشبه ما يكنَّ بالمنافقات، فلا هنَّ متبرجات خالصات، ولا متحجبات حقيقيات، ولا حتىٰ من الصنف الأخير، وهنَّ المتحجبات المتبرجات، وقد رأيت بعضهن وأنا في بلد إسلامي تلتزم نساؤه بستر الوجه والجسم كله، فلما حان موعد سفري ومغادرتي لهذا البلد المسلم إذا ببعض نسوة تلك البلد ممن يرغبن في السفر علىٰ متن الطائرة التي ستقلني إلىٰ وجهتي. وقد ارتدين العباءات السابغة وغطين وجوههن ونحن بالمطار، فما إن ركبنا الطائرة، وأقلعت في الجو حتىٰ أقلع هؤلاء المنافقات هن الأخريات، ولكن ليس من الأرض إلىٰ السماء، بل من الفضيلة والحياء إلىٰ السفاهة والشقاء!

فقد خلعن عباءاتهن، وكشفن وجوههن، وشعورهن، وأظهرت كل

واحدة منهن ما ترتديه من ملابس خفيفة شفافة مزينة، ذات أكمام قصيرة، ثم أخذن في إخراج المرايا لإصلاح زينتهن وتمشيط شعورهن، فانتابتني الدهشة وأصابني الذهول، وآلمني أن أولياء أمورهن المرافقين لهن لم يبدوا حراكاً، ولم يُظهروا استياءً، وكأن شيئاً لم يحدث، فأي سفاهة تلك التي تجعل من البعض ممثلين، فتارة يمثلون الفضيلة في بلد، وتارة يمثلون الفسق في أخرىٰ.

إنهم تقنّعوا بالفضيلة ليُسكتوا الاعتراضات التي قد تصدر ضدهم في بلادهم الأصلية، ولكنهم أسفروا عن حقيقتهم في البلاد التي تشجع الانحلال وتبارك الفساد، وتحارب المتمسكين بالدين وترميهم بالتطرف.

وأرجو ألا يُفهم من كلامي أن كل نسوة تلك البلاد علىٰ هذه الشاكلة، ولكنني أقصد بعضهن، فإنه لم يزل هناك من النسوة الصالحات التقيات الكثير ولله الحمد.

كما أن بعض الفتيات في البلاد المحافظة علىٰ تقاليد ستر المرأة يخرجن في طلب العلم إلىٰ بلد آخر، فنفاجأ بأن الفتاة التي كانت ملتزمة بالستر التام تخلع عنها ثوب الحياء، فترتدي بنطلوناً وقميصاً كالرجال، أو ترتدي ثياباً قصيرة، وتترك شعرها ينسدل علىٰ أكتافها، مع صبغ وجهها بالمساحيق، وقد تختلط بالرجال تحت شعار الصداقة، وكأن طلب العلم يستوجب خلع الفضيلة والحياء!

وهناك متحجبات مزيفات أخريات ارتدين الحجاب لمآرب شخصية؛ كالبحث عن زوج صالح بعد أن يئسن من العثور علىٰ زوج من شاكلتهن، فما أن تظفر إحداهن بالفريسة حتىٰ تكشر عن أنيابها، وتعلن عن

حقيقتها، وتخلع حجابها، فتبدأ المشاكل وتنشأ الصراعات، فتدعي أنها ظُلمت بذلك الزوج الذي يحد من حريتها في التبرج علىٰ زعمها، ويشعر الزوج بالتعاسة والإحباط، وقد يُفتن في دينه بسبب تلك الزوجة الغشاشة المنافقة، أو يطلقها بعد اليأس من إصلاحها، وفي كلا الحالين تثور الهموم والأحقاد، وتنقلب الحياة الزوجية إلىٰ جحيم لا يُطاق.

كما أن بعض هؤلاء المذكورات يرتدين الحجاب من أجل نيل وظيفة في مكان يشترط علىٰ المتعاقدات معه الالتزام بالزي الشرعي، فما أن يصل هؤلاء إلى البلد الذي تعاقد معهن علىٰ هذا الشرط حتىٰ يذهبن إلىٰ أماكن عملهن بأغطية شفافة تفتن وتغري، لا تغطي وتستر، بينما يكشفن وجوههن وشعورهن في الأسواق والمحلات التجارية، فينشرن الفساد أينما حللن، وتقتدي بهن نساء ذلك البلد الذي ينتشر فيه الحجاب، وينسىٰ هؤلاء أنهن بهذا العمل خائنات للأمانة والعهد، فتصبح الأموال التي يتقاضينها أموالاً حراماً، حيث إنهن نقضن الشرط المذكور في العقد للعمل في تلك الوظيفة، وهو الالتزام بالزي الشرعي، بالإضافة إلىٰ أن تلاعبهن بالحجاب يؤدي إلىٰ فقد الثقة بهن، وعدم احترامهن، وزوال هيبتهن من النفوس.

أقوال لا رصيد لها

شبهات كثيرة، وحجج وأقوال متعددة، يريد أصحابها أن يقلبوا الحق باطلاً، وأن يزيفوا باطلهم بكلمات معسولة لا خير فيها، ولكن الحق واضح وضوح الشمس، وفي بحث رائع كتبه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في إحدى رسائله القيمة يقول:

ما أكثر ما ضلت فتياتنا عن رشد العقل، بأقوال مزيفة باطلة، وما أكثر ما تبين لهن أنها أباطيل خادعة، ولكن ذلك لم يتبين لهن إلاّ بعد أن تجاوز الأمر بهن إلى نهاية لا طاقة لهن على الرجوع عنها.

إنني أيتها الأخت الطالبة سأعرض لك بضع هذه الأقوال بزخرفها الخادع، ثم أجردها من زيفها اللصيق لتريْ عظيم ما فيها من الخداع والتضليل؛ حتى إذا تبينَ لك ذاك، كنت أقدر على الصمود في وجه الباطل الذي تتعرضين له وأكثر ثباتاً وصلابة على الحق الذي تعتزين به.

يقولون لكِ: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يُلقى ويُسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها، وهي تمارس معهم الفجور في باطنها؛ وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها أو سلوكها.

وأقول لك: إن هذا صحيح. فما كان للثياب أن تصنع لصاحبها عفة

مفقودة ولا أن تخلق له استقامة معدومة، ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟.. ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟..

إن الله جل جلاله إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، لا حفظاً على عفتها من العين التي تراها!... ولئن كانت تشترك معه هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان، فإن فائدته من ذلك أعظم وأخطر.

ويقولون لك: إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة، تهذّبت طباع كل منهما، وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى معصية ولاتنحرف نحو سوء!.. أما إذا ضرب بينهما بسور من الاحتجاب، فإن نوازع الشر تلتهب بينهما وتغري كلًّا منهما بصاحبه!.. فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع!..

وأقول لكِ: صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها، خلال مرحلة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها، وبديهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا فوقها، ولكن لأنهم قد بشموا بها ويشبعون كل يوم منها.

إن رؤية المناظر والمواقف المثيرة المخلة بالآداب في بلدة كالسويد مثلاً،

يعتبر أمراً عادياً لا يثير استغراباً ولا استهجاناً بالنسبة لأولئك الذين نشؤوا وعاشوا في تلك الأجواء، فهل يعني ذلك أنهم قد تجاوزوا طبيعة التأثر بدواعي الانحراف وأسبابه، فهم لا ينحطّون إليها ولا يتأثرون بها؟!.. أي مجنون من الناس يقول هذا؟..

والكبت!.. أيهما يورث الكبت؟: أن يخرج الشاب إلىٰ شأنه من وظيفة أو عمل أو دراسة، فلا تقع عينه علىٰ ما يثير شيئاً من كوامن غريزته. فيعود إلى بيته هادىء النفس مستريح البال نشيط الفكر، أم أن يخرج من بيته فتستقبله المغريات من كل جانب وصوب وبكل أسلوب وفن، فتهتاج نفسه وتثور غرائزه.

ويقولون لك: إن الفتاة التي تحبس نفسها عن الناس من وراء حجاب، إنما تحرم بذلك شبابها بل حياتها من سعادة الزواج، فالشاب إنما يقبل علىٰ الفتاة التي يعجب بها، وإنما يعجبه منها وقبل كل شيء جمالها وما يتصل به من مظاهر شخصيتها، وأنّىٰ له أن يطمئن إلىٰ ذلك منها إذا لم يتهيأ له أن يراها ويخلط نفسه بطرف من شأنها وطباعها؟.. وكيف يتهيأ له ذلك إذا كانت تأبىٰ إلا أن تحبس نفسها عنه وراء سور البرقع أو النقاب والحجاب؟.

تلك هي حجة الأمهات لبناتهن، تحسب الواحدة منهن أنها تجلب الخير بذلك لابنتها. وتقرب السبيل لها إلىٰ اختيار فتىٰ أحلامها، ويزيدها في ذلك اندفاعاً إغراءات جنود الشيطان من حولها، يستغلون لديها هذه الرغبة، فيزيدون من مخاوفها إن تزيّنت ابنتها بلباس الإسلام، ويدعمون آمالها إن هي تحررت منه وانساحت بين صفوف الشباب تعرض من زينتها

عليهم وتخلط نفسها بهم! . .

وأقول لك: إنها لخدعة باطلة توحي بعكس الواقع والحقيقة! . . خدعة يصيغها دعاة الباطل علىٰ علم، وتنطلي علىٰ أفكار الفتيات وأمهاتهن جهلاً وغروراً! . .

ولو تأملت الواقع الذي نعيش فيه، لرأيت نسبة الإقبال علىٰ الأسر والفتيات المحافظات للزواج منهن أكثر بما يقارب الضعف من الإقبال علىٰ الأسر المتحررة اللاتي يطبقن الوصفة الخادعة التي اغتررن بها، بل إن الزواج عموماً يشيع بين الأسر المحافظة المتدينة أكثر مما يشيع بين الأسر الأخرىٰ بنسبة تزيد علىٰ الضعف؛ يعلم تفصيل ذلك كل من يرجع إلىٰ الإحصائيات المفصلة في هذا الشأن.

ويقولون لكِ: إن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وإنها أولىٰ الخطوات إلىٰ أي نشاط فكري أو اجتماعي أن تتبرج الفتاة وتحطّم ما بينها وبين الرجل من حواجز واعتبارات، كما أن أول السبيل للقضاء علىٰ ملكاتها واستعداداتها الفكرية والاجتماعية المختلفة أن تحبس نفسها في قفص هذا الحجاب، وتضع بينها وبين الرجل حاجزاً مما تسميه الستر والآداب! .

وما يتحدث أحدهم عن جهل المرأة وتخلفها إلّا ويجعل من صورة المرأة المتحجبة مظهراً لذلك، وما يتحدث عن ثقافة المرأة وتقدمها ونشاطها الفكري والاجتماعي إلا ويجعل من صورة المرأة المتبرجة السافرة مظهراً لذلك! .

وأقول لكِ: إنني أجزم بأن هذا التلازم المختلق إنْ هو إلا بهتان كبير لا أساس له ولا دليل عليه!..

إنني أقرر لك وأنا شاهد عيان أن في فتياتنا في الثانويات والمعاهد والكليات والجامعات متحجبات بحجاب الإسلام، مستمسكات بحكم الله عز وجل، وهن أسبق إلى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات.

وإن كل مطلع على التاريخ، يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللاتي جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً، وعلماً وثقافة وفكراً، وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك، إلى عصرنا الذي نعيش فيه.

إن التخلف له أسبابه، والتقدم له أسبابه!. وإقحام شريعة الستر والأخلاق في الأمر، خدعة مكشوفة ثقيلة لا تنطلي إلا على متخلّف عن مستوى الفكر والنظر الحر.

من هي الزوجة المثالية؟

الزوجة المثالية :

هي التي تطيع زوجها في غير معصية، أما لو أمرها بمعصية فهي لا تطيعه ولا تستجيب له، بل ترشده بالقول اللين والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿*فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله*﴾ [النساء: ٣٤]، والقانتات: هن المطيعات لله القائمات بحقوق الأزواج، والحافظات للغيب: أي اللائي يحفظن أنفسهن وأموال أزواجهن في غيبتهم، كما يحفظن أسرار الزوجية.

والزوجة المثالية :

هي التي تربي أولادها بنفسها، ولا تتركهم للخدم أو للشارع أو ليدٍ غير يدها، وهي تربيتهم على الصلاح والاستقامة وحسن السلوك، لأنها تعلم أن هذا الجزء من مهمتها في بناء المجتمع، يقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي: «**المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**» ورحم الله شاعر النيل إذ يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

والزوجة المثالية :

هي القانعة التي ترضىٰ بما يقسم لها قلَّ أو كَثُر، فلا تطلب من زوجها ما لا يستطيع ولا تمس الحاجة إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿ومتِّعوهنَّ علىٰ الموسع قدره، وعلىٰ المُقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً علىٰ المحسنين﴾ [البقرة: ٢٣٦].

والزوجة المثالية :

هي التي تحسن تدبير شئون المنزل، وتضع ما لديها من مال في خير موضع وفي أفضل سبيل، ولا يعني حسن التدبير معرفة استخدام الأموال فحسب، بل يشمل كل ما يتعلق بأمور المنزل.

والزوجة المثالية :

هي التي تتحلىٰ بالخلق، فيبدو كل تصرف من تصرفاتها حسناً، ولا تتلفظ إلا بالألفاظ الحسنة التي تريح زوجها، ولا تحاول إثارة همومه وتنغيص عيشتــه، وتستقبله دائماً بالكلمات الطيبة والابتسامة الحانية، وتفرش له بساط الأنس والانشراح.

والزوجة المثالية :

هي التي تحسن معاشرة أهل زوجها.. وخاصة أمه التي هي أقرب الناس إليه، فيجب أن تتودد إليها، وتتلطف بها، وتظهر الاحترام لها.

والزوجة المثالية :

هي التي تحترم مشــاعــر زوجهــا فهي دائماً مشاركة له في وجدانه وأحاسيسه، تراعي دائماً أن تكون عفيفة اللسان، تتخير من الأقوال

والأفعال ما لا يجرح شعوره أو يسبب له إحراجاً، وتُشعره دائماً بأنها تحبه وتعتز به، وإن تجاوزت في ذلك بعض الصدق فلا ضرر، من أجل الحفاظ علىٰ الانسجام وتقوية أواصر الزوجية.

روىٰ البخاري ومسلم عن أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «*ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً*» قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: يعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، فهذا حديث صريح في إباحة تجاوز بعض الصدق بين الزوجين من أجل المصلحة.

والزوجة المثالية:

هي التي تشكر زوجها علىٰ جميل صنيعه، لأن هذا يولد المحبة ويعطي المحسن دفعة لبذل مزيد من التفضل والإحسان.

والزوجة المثالية:

هي التي تجعل زوجها دائماً يأنس منها التجمل والزينة، والتي تحرص علىٰ أن تبدو نظيفة دائماً في نفسها وفي بيتها وكل متعلقاتها، لأنها تعلم أن النظافة أبقىٰ لها من الجمال، وأن الزوجة المهملة لنظافتها تصبح منفرة لزوجها ومشجعة له علىٰ أن يرتمي في أحضان أخرىٰ نظيفة.

التحرر الكاذب والحجاب

الله أكــبر كل مد
سوف يتــلوه انــحـســار!
والــلـيــل مهــما طال يا
مظلوم يتــلوه الــنهــار!
قد راعــني نوح الهــزا
ر وطــالمــا غنــى الهــزار
تغــزو الجــوارح عرشــه
ليــبــاد فيــه أو يثــار!
زعــمــوا الهــزار مقــيــداً
لم لا يفــك من الأســار؟
والــقــيــد غير محبــب
مهــما يزخــرف بالــنــضــار؟
والــعصر عصر تحرر
لم لا تســايــره الــنــوار؟

* * *

حجــج تكــشــف زيــفــهــا
خسرت وحــالــفــهـا الــبــوار؟

ألعوبة شغفوا بها
أيان ما فشلوا تثار
معنى التحرر عندكم
عدو تجاه الانحدار
بين الأنام أراكمو
طرتم بأجنحة قصار
فنزلتم الوادي السحيق
وغيركم في الأفق طار
كم فيكموا من غاشم
ظلمت بطانته وجار
بطل إذا حمي الوغى
فوراً على الأهل استدار
يسطو على الأخلاق
والدين المقدس والجوار؟

* * *

فلم التشبث بالسفور
وكل شيء مستعار؟
الفتح في فجر الحجا
ب إلى حدود الصين سار
وسفوركم شهد الهزا
ئم عصره والاندحار
ليس السفور بمرجع
مجداً يعز على الشفار

«أتترك» وهو أمامكم
خسر الهدى لما أغار
لم يكتسب مجداً ولا
أبقى من الماضي ادخار
أنكى وأسوأ محنة
أوعيتمو منها اعتبار؟

* * *

قد راعني نوح الهزا
ر وطالما غنى الهزار
ويبح صوت المستجير
فهل من البلوى يجار
لله در شهيدة
صرعت وللظلم الخسار
قتلت وكان نقابها
ذنباً لحقدهمو أثار
تعساً لحكم في ربو
ع الشرق من «موسكو» يدار
أو يستمد من الصليب
فيستعان ويستشار
ليباح كل محرم
جهراً وفي وضح النهار
شربوا لبان الغرب
والتبشير من كانوا صغار

واستـمـرأوا فعـل الـكـبـا
ئر بعـد أن صاروا كبـار
وتـنـكـروا لذويهـمـو
حقـروهمـو أي احـتـقـار
فكـأنهم قد ناجـزوا
أبـنـاء جلدتهـم بثـار

* * *

يا بنـت خولـة كافـحـي
إن لج بالـكـلـب الـسـعـار
إن عضـكـن فإنـه
في حشرجـات الاحـتـضـار
يا أم ياسر فليـكـن
(الله) في الجـلـى شعـار
وتحـصـني بالهَـدي بالـقـرآن
إن ذو الـبـطـش جار
أسـد عليـك همو وفي
وفي الهـيـجـاء أبـطال الـفـرار
والـظلم قطعـاً لن يدو
م وغـايـة الـبـاغـي الـبـوار

من حقوق الزوجة على زوجها

مما لا شك فيه أن الإسلام شرع مركز المرأة في الحياة وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لم تجعله شريعة سابقة، بل ضنّ عليها رجال بعض الأديان بأن تكون إنساناً، فاعتبروها حيواناً نجساً لا روح له، أو أنها إنسان لا حيوان، لكنها إنسان خلق لخدمة الرجل، ومنهم من جعل حياتها مرتبطة بحياة الرجل، فإذا مات الرجل أصبحت المرأة لاحق لها في الحياة فيحكم عليها بالموت معه..

ثم جاءت شريعة الإسلام السمحة لتجعل لها من الحقوق الواجبات مثل ما للرجل، فأعطاها الإسلام حرية التصرف في أموالها، كما أعطاها حرية اختيار زوجها، بل جعلها الله سبحانه وتعالىٰ آية من آياته.

فقال تعالىٰ: ﴿*ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون*﴾ [الروم: ٢١].

فإذا نظرنا إلىٰ هذه الآية الكريمة وجدنا أن الله سبحانه وتعالىٰ جعلها آية من آياته، لا حيواناً نجساً، خلقت من أنفس الرجال لا من طينة أخرىٰ، فهي من الرجل والرجل منها.. وقد خلقها عزّ وجلّ لتكون زوجة - لا لتكون خادمة - وزوجة يسكن إليها، والسكن أمر نفساني وسرّ وجداني يجد فيه المرء سعادته وراحته وأمنه وطمأنينته.

وقد أودع الله في كل منهما سرّ الحنين إلىٰ صاحبه والإقبال عليه فهو يدلي إليها بمودته ورحمته وهي تدلي إليه بمثل هذه المودة والرحمة وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

ولهذا فقد قرر الإسلام ما بين الزوج والزوجة من أصول التعاون علىٰ رسالة الحياة الزوجية فجعل للزوج علىٰ زوجته حقوقاً، كما جعل أيضاً للزوجة حقوقاً منها:

النفقة:

فالنفقة تلزم الزوج من حين عقد الزواج، يعدّ لها المسكن والمتاع، ويوفر لها الطعام والشراب والكسوة، ولا تلزم الزوجة ولو كانت ذات مال أن تنفق علىٰ نفسها شيئاً من مالها، قليلاً أو كثيراً إلا أن تتطوع به عن طيب نفس منها ولا يحق للزوج أن يجبرها علىٰ شيء من هذا حتىٰ ولو كانت ذات مال وزوجها فقير.

وفي ذلك يقول الرسول الكريم ﷺ: ***«ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»*** رواه مسلم.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال عليه الصلاة والسلام: ***«أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»*** رواه أبو داود.

وقال سبحانه وتعالىٰ: **﴿أسكنوهنّ من حيث سكنتم من وِجْدكم﴾** [الطلاق: ٦].

أي علىٰ قدر ما يطيقه كل منكم، كما أن نفقة الطعام والكسوة تقدر بطاقة الزوج وقدرته المالية: فالغني ينفق من سعته، والمقل علىٰ قدره لقوله عزّ وجلّ: ﴿*لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً*﴾ [الطلاق: ٧].

فإذا قدر الزوج الغني أن يكسو زوجته الحرير ويعيشها في مستواه المادي حكم عليه بذلك.

إحسان العشرة:

ومن حق الزوجة علىٰ الزوج إحسان العشرة: لقوله تعالىٰ: ﴿*وعاشروهن بالمعروف*﴾ [النساء: ١٨].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿*ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن*﴾ [الطلاق: ٦]. أي يجب التوسيع عليهن في المعاملة، ويحرم ما يضرّهن، فمن استقام علىٰ ذلك مع زوجته فهو المسلم الحق علىٰ ذلك مع زوجته فهو المسلم الحق المقيم لحدود الله عز وجل، ومن ضيق عليها وضارها بسوء خلقه وشراسة طبعه، فليس ذلك من الإسلام في شيء، وفي هذا يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح..

ومن حسن المعاشرة ألا يألو الزوج جهداً في الترفيه عنها بما يدخل عليها السرور وأن يكون طلق الوجه، يحسن اختيار الكلمة الحلوة ويشكرها علىٰ ما تؤديه من خدمة له ولأولادها، فإنها غير مكلفة شرعاً بشيء من

ذلك ويحاول أن يُسرّي عنها إذا غضبت ويخفف عنها إذا تعبت، وأن يمازحها المزاح المباح.

وكان النبي ﷺ يسابق السيدة عائشة فتسبقه أو يسبقها. . وكان عليه الصلاة والسلام يجمع نساءه كل ليلة فيتبسّط معهنّ في الحديث، ويلاطفهنّ حتىٰ تنصرف كل منهن إلىٰ مضجعها وهي قريرة العين.

ومن حسن عشرتها حسن الظن بها وترك التجسس عليها وعدم تتبع عثراتها. .

وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن ذلك ـ فيما نقل عنه جابر رضي الله عنه قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، يتخونهم أو يتلمس عثراتهم» رواه مسلم.

والتخوّن أن يظنّ وقوع الخيانة من زوجته، والمراد من الحديث ألا يطرقها مفاجأة ليعرف ما تكون عليه من عثرات، فحسن الظنّ بها وإشعارها بكمال الثقة أولىٰ.

ومن حسن المعاشرة المحافظة علىٰ حيائها وكذلك المحافظة علىٰ حقوقها الزوجية من إعطاء حقها في الفراش، والمحافظة علىٰ شعورها وذلك بألا يجرح شعورها بكلمة سيئة أو نظرة غليظة.

كما يجب عدم كشف سرّها لأحد لأن ذلك ينذر بالقطيعة ويخلق الحقد والضغينة في النفوس ويعتبر من سوء الخلق، لهذا منع الإسلام كشف سرّها.

السماح لها بزيارة أهلها إذا هي أرادت ذلك والسماح لأهلها بزيارتها

في بيتها في أوقات معلومة، لأن ذلك من صلة الرحم وهي واجبة في الإسلام.. كما يجب مساعدتها ومعاونتها عند الحاجة، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع نسائه.

كما يجب احترام ملكيتها الخاصة وألا يتصرف فيها إلا بإذنها..

تعليمها ما تحتاجه من أمور الدين:

الرجل مسؤول عن زوجته أمام الله عزّ وجلّ لأنه راعيها وكل راع مسؤول عن رعيته يوم القيامة، كما جاء في الحديث.

فحق عليه أن يعلمها ما لم تتعلمه من الطهارة والوضوء وأحكام الحيض والنفاس والاستحاضة وأمور الصلاة والصيام وقراءة القرآن الكريم وذكر الله، وواجبها نحو أهلها وجيرانها وأقاربها وأهل بيتها، وكيف تلبس ملابس شرعية وكيف تجتنب الخلوة بالرجال وكيف تخاطب الرجال وتحادثهم إن دعا إلى ذلك داع، إلى آخر ما يطلب منها شرعاً، فإن لم يستطع فعليه أن يسأل العلماء ويبلغها فإن لم يفعل وجب عليه أن يأذن لها لتخرج وتتعلم أمور دينها، فإن لم يأذن لها وجب عليها الخروج بغير إذنه بالنسبة لتعلم الأمور الواجبة والمحرمة، فإذا تعلمت الواجب والمحرم فلا تخرج لطلب العلم إلا بإذنه.

هذه هي حقوق الزوجة على الزوج التي ينبغي على كل زوج مسلم أن يؤديها لزوجته كما أمر بها الله ورسوله: فالزوجة هي الجانب الأضعف والأحوج إلى العطف والرحمة وحسن الرعاية، ولهذا فقد وصانا الرسول الكريم ﷺ بها خيراً.

زينة المرأة
بين المشروع والممنوع

الزينة للمرأة منها ما هو مشروع وما هو ممنوع، فالمشروع كل ما يعتبر جمالاً للمرأة وزينة لها سواء كان ثياباً أو حلياً، أو طيباً، أو تخضباً بالحناء في اليدين والرجلين، أو كحلاً، أو كريماً للوجه أو صبغاً للشعر بلون غير الأسود: «والأسود جائز مع الكراهة فقط» إذا لم يكن غشاً لأحد.

والممنوع نوعان:

١ ـ ما يمنع لأن فيه تغييرا لخلق الله :

وقد نص عليه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: *«لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله، فقالت له امرأة في ذلك فقال: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ...»*.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: *«لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة»* متفق عليه.

فالله ورسوله لعنا الواشمة: وهي التي تغرز الإبر في الجلد وتنثر ما يشبه النيلة عليه ليضرب لونه إلى الزرقة.

والمستوشمة: *وهي التي تطلب من الواشمة أن تفعل بها الوشم، والمتنمصة: وهي المرأة التي تطلب من امرأة أخرىٰ أن ترقق لها شعر حاجبها، وذلك حرام، أما نتف شعر الوجه واللحية والشارب للمرأة فمستحب لأن هذه المواضع ليست مواضع طبيعية بالنسبة لشعر المرأة.*

كما لعن الله ورسوله المتفلجات: وهن اللواتي يبردن ما بين الأسنان ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً.

وكذلك لعنا الواصلة: وهي التي تصل شعر رأسها بشعر آدمي، وهذا متفق علىٰ تحريمه أما إن وصلت شعرها بشعر غير الآدمي فالأكثرون علىٰ حرمته وبعض الشافعية أجازوه إذا كان بإذن الزوج.

والعلة في تحريم ذلك كله أنه تغيير لخلق الله، وحكم الباروكة كذلك، لأنها تغيير لخلق الله تعالى كاملاً، إلا إن كانت من شعر غير الآدمي عند بعض الشافعية كما سبق.

٢ ـ أن تتزين لمن يحرم عليها أن يرى زينتها:

والذين يجوز لهم أن يروا زينتها هم الزوج، ومن يحرم عليها أن تتزوج بهم تحريماً أبدياً مثل أبيها وأخيها وابنها وابن ابنها، ووالد زوجها وابن زوجها من غيرها إلخ، بشرط أن يكون الشخص أميناً يخشىٰ الله تعالىٰ، فإن كان فاجراً وقحاً فلا يجوز أن تتبرج أمامه ولو كان أخاها، فكم سمعنا عن حوادث اعتداء علىٰ العرض من أمثال هؤلاء.

وكذلك يجوز للمرأة التبرج في محضر النساء المسلمات، أما غير المسلمات ففي الكشف أمامهن خلاف، والأصل في ذلك قوله تعالىٰ:

﴿ولا يُبْدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ أو آبائهنّ، أو آباء بعولتهنّ، أو أبنائهنّ، أو أبناء بعولتهنّ، أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ، أو بني أخواتهنّ، أو نسائهنّ، أو ما ملكت أيمانهنّ، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا علىٰ عورات النساء﴾ [النور: ٣١].

فإن ظهرت المرأة بزينتها أمام غير هؤلاء فإنها ترتكب معاصي بعدد من يراها، وتتجدد المعصية بتجدد الزمن، لأنها مطالبة في كل وقت بترك المعاصي، وقد جاء التحذير من ذلك في القرآن والسنة فقال تعالىٰ:

﴿ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ عينٍ زانية، والمـرأة إذااستعطرت فمرت بالمجلس كذا وكذا زانية» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية للنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما: «أيما امرأة استعطرت، فمرت علىٰ قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية».

والمراد أنها داعية إلىٰ الزنا فهي فاسقة عاصية بفعلها هذا، ومعنىٰ: كل عين زانية: أن كل عين تنظر إلىٰ مالا يحل لها من عورات النساء فهي عاصية، لأن النظر المحرم داع إلىٰ الزنا ومهيج للشهوة.

وجاء في حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه: «لا يقبل من امرأة صلاة خرجت إلىٰ المسجد وريحها تعصف حتىٰ ترجع فتغسل».

وهذا بالنسبة لمن تذهب إلىٰ المسجد فما بالك بمن تذهب متبرجة إلىٰ

مجالس الرجال وحفلاتهم ونواديهم وبيوتهم؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «*صنفان من أهل النار لم أرهما! قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجَنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا*» رواه مسلم وغيره.

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ وظهر الصنفان في الأمة: الصنف الذي يضرب الشعب ويعذبه بسياط «كرابيج» كأذناب البقر.

وصنف النساء «الكاسيات العاريات» بمعنىٰ أن بعض الجسد مكسو والآخر عريان، أو أن الثياب رقيقة تشف عما تحتها، أو أنها ضيقة تفصل جسم المرأة بدقة، والكل الآن موجود.

كما أنهن مائلات إلىٰ المعصية واتباع الموضة غير عابئات ولو لعنتهنّ ملائكة الله ليلاً ونهاراً، وهن مميلات أيضاً، يعني يحاولن التأثير علىٰ غيرهنّ من النساء ليتعرين مثلهنّ، ويزدن علىٰ ذلك أن الكوافير يصنع من شعر الرأس سناماً مثل سنام الجمل يتمايلن به ويتبخترن فتنة للناس وإعجاباً بجمالهن، ولذا كان جزاؤهنّ أنهنّ لا يدخلنّ الجنة ولا يقربنَ منها، ويحرمن شم رائحتها التي تشم علىٰ بعد خمسمائة سنة كما جاء في حديث آخر.

ولشدة فظاعة خطر هذا النوع علىٰ الأمة جاء في حديث ذكر ما في هذا الحديث من أعمالهنّ ثم قال ﷺ: «*العنوهن فإنهن ملعونات*» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح علىٰ شرط مسلم، ومعنىٰ

ملعونات: مطرودات من رحمة الله فيجب علىٰ كل امرأة أن تقصر زينتها علىٰ زوجها، ولا مانع من أن يراها من يحرم عليها الزواج به حسبما سبق، فإن تزينت للأجانب كما هو الحال الآن بالنسبة لأكثر النساء فقد عرفت حكم الله في ذلك.

المرأة بين طريقين

بعض النساء في مجتمعنا في خلاف دائم مع أزواجهن وحيرة من أمرهن بموضوع التبرج والسفور أو الحجاب وتجد أمامها طريقين لا ثالث لهما، فهو يريد لها التبرج والسفور وبذلك تخالف أمر ربها وسنة نبيها فماذا تختار، وتختار هل ترضيه وتعصي ربها أم ماذا تفعل؟!

في نظري أن هذه المرأة إما أن تكون متبرجة قبل الزواج وهداها الله، فأبىٰ زوجها إلا أن تستمر علىٰ الصورة التي تزوجها عليها، أو أن تكون متدينة تزوجت بفاسق. فأراد أن يفسد عليها دينها، مع أنه كان من الأحرىٰ بها أن لا تختار إلا رجلًا صالحاً، لا أن تتزوج كيفما اتفق، ثم تعاني بعد ذلك من فساد زوجها وانحلاله.

وعلىٰ جميع الوجوه نجد أن المرأة في هاتين الحالتين تخشىٰ من عدم إرضاء زوجها، ومن إفساد حياتها العائلية، بالإصرار على الحجاب الذي لا يرضاه الزوج، ولهذه نقول: إن عليها أن تكلم زوجها بالحسنىٰ، وترشده إلىٰ أنها تخشىٰ عليه من عقاب الله إن هو أصرَّ على منعها من التحجب، وأبىٰ عليها إلا أن تسير متبرجة، ليعرض لحمها علىٰ زملائه، ويريهم أنه إنسان عصري متحضر لأن مثل هذا يعتقد أن التحضر والتقدم بالتبرج والتعري. ويثبت لهم أنه إنسان اشتراكي، جعل زوجته ملكاً للجميع، بينما لو عقل هذا بعض الشيء، لوجد أن ما يفعله فوضىٰ وهمجية وانحلال

وتسفخ وبهيمية ورجعية وردة إلىٰ عهود ما قبل التاريخ، إلىٰ عصر الإنسان الحجري، الذي كانت تسير كأنها كاسية عارية بجواره. .

فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «*ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله*» رواه الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد.

فإن أبىٰ ذلك وأصرَّ علىٰ موقفه، فلتعلم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن إرضاء الزوج لا يكون بارتكاب المعاصي، وإنما بالسمع والطاعة له فيما يأمر بها ليس فيه إثم، وبالقيام بواجباته، وإعطائه حقوقه كما بينها الله تعالىٰ في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

المرأة والعمل

حق المرأة في العمل أو تسخير المرأة للعمل أمران يخلط فيهما كثير من الناس، ويحاول بعض الأدعياء أن يزخرف الثاني بالأول تضليلاً للرأي، وتسمياً للفكر، ينادون بحق المرأة في العمل، ويخفون من ورائه تسخير المرأة للعمل، إرواءاً لنزعة بعض الرجال إلىٰ الخمول، أو تلبية لرغبات خسيسة كحب التسلي في مختلف المجالات...!!

وإن كان كثير منهم يردد علىٰ الأسماع نغمات تطرب النفوس، وتخيّل لها أن من وراء القول شيئاً.

ثمة أناس يتغنون بترقية المرأة، ورفع مستواها، فهم يطلبونها أن تصبح مهندسة، أو محامية، أو طبيبة، أو صيدلانية...؟! كي تتحقق بهذا الهدف الأسمىٰ بالرقي، يموّهون علىٰ أنفسهم وعلىٰ الناس بعناوين أعمال ومهن تتمتع في نظرة المجتمع بامتياز خاص، كأن احتراف تلك الأعمال هو نفسه الذي يرفع المستوىٰ ويعلو بالإنسان..!!.

وهذا في الحقيقة وهم ناشيء عن ضخامة الهالات في مجتمع يسير في أول سلم الحضارة، يُغَشّي العيون عن الحقيقة الإنسانية الراسخة.

إن الحقيقة الراسخة هي أنه مهما تكن مهنة الإنسان من الأهمية والخطورة فإنها رقي وهمي، يضفي عليه حلة ورواء لا يتجاوز القشرة

الظاهرة والطلاء الخادع.

كم من المهندسين أناس يجاملون أصحاب المشاريع العمرانية في مواد البناء، يعرضون بذلك أموال الناس وأرواحهم للخطر..؟! وكم من المحامين من يغدر بموكله بالتواطؤ مع خصمه، وكم منهم من يسخر نفسه لمغتصبي الحقوق أو المعتدين علىٰ النظام..!! وكم في الأطباء من لا يفي بحق الأمانة، وميثاق المهنة، لا تأخذه المريض الموجوع رأفة ولا رحمة!!.

أفتشفع المهنة للمستخف بأرواح العالم وتجعله راقياً، أو ترفع المنتهب للأموال والحقوق من بؤرة تلك الأوبئة «غير الأخلاقية» الشنيعة إلىٰ المستوىٰ الطاهر الكريم؟!.

إن الرقي الحقيقي، والمستوىٰ الرفيع إنما هو رقي الخلق، هو العفة، والصدق، هو التفاني في سبيل الحق، وإسداء الخير للعالم، هو الترفع عن الدنايا والمظالم، وسفاسف الأمور، أما الذي يفقد ذلك فلن يكون له حظ من الرقي، ولا من الفضل، ولن يزيده كنز المال، وضخامة المهنة إلا انحطاطاً وخطراً، إذ يكون ضرره أعظم، وإفساده أكبر..!!.

وثمة أناس يترنمون بالمساهمة في بناء الاقتصاد، والمساهمة في إقامة الحضارة، والعامل الاقتصادي هذا أصبح حجة عظيمة، وبرهاناً قوياً، في هذا العصر الذي فتن الناس فيه بالمال، واتخذوه وثناً يعبد، حتىٰ شقوا به، وسقطوا في مهاوي الهلاك..!!

لكن هذه الحجة لا تعدو أن تكون تحريفاً للكلم وللحقائق التي يعيش فيها هذا الشعب، إن مشكلتنا الحقيقية في مجال الاقتصاد إنما هي الفقر وقلة الموارد التي تهيء مستوىٰ العيش الكريم للرجال والنساء علىٰ حد

سواء، فأي علاج لا ينهض علىٰ أساس تلافي هذا الخلل، ورأب هذا الصدع، فلن يؤدي إلىٰ نهضة اقتصادية، ولا إقامة حضارة صحيحة.

إن الاقتصاد اليوم أصبح يعتمد علىٰ الصناعة الآلية، ولقد أفلح الإنسان اليوم في تحسين الآلة حتىٰ أصبحت الواحدة تقوم مقام عشرات أو مئات الأيدي العاملة، فقد وفر الله للناس كرامة نسائهم وبناتهم، وكفاهم بهذه الآلة ابتذال أعراضهم مهما أرادوا من الرقي الصناعي، ومهما بذلوا من الجهد لدعم الاقتصاد، بما وصلت إليه الآليات الحديثة من السرعة ووفرة الإنتاج الهائلة.. وإن كنا مقصّرين في الإفادة من هذا التقدم العظيم، يقول الدكتور الفاضل نور الدين عنتر في كتابه القيم «ماذا عن المرأة» متسائلاً عن عمل المرأة:

ما هو عمل المرأة:

قد يسأل سائل يقول: حقاً إن مزاولة المرأة للوظائف أو للأعمال الحرة لا يصلح أساساً لرقي المرأة، ولا يدعم الاقتصاد، فماذا تريد للمرأة، أتظل عاطلة بلا عمل؟ ومن الذي يقول إن الإنسان خلق ليعطل قواه ومواهبه..؟

هذا سؤال جدير بالنظر والجواب، والواقع أن أحداً من أهل الإسلام لم يقل إن المرأة لا تعمل، فالمرأة عضو من المجتمع، ولا بد أن تساهم في بنيانه ونهضته.

لكن ما هو عمل المرأة؟؟ إن التخصص في الأعمال والمهن أرقىٰ ما توصل إليه الإنسان واعتمده في هذا العصر، وقوام التخصص الموهبة

الفطرية التي جبل عليها الإنسان، ثم الممارسة والمران الذي ينمي هذه الموهبة ويصقلها.

هذا إنسان ذو عقل رياضي، ثاقب النظر في الربط والاستنباط فهو يصلح للهندسة والتخصص في علوم الرياضيات والفيزياء.

وهذا إنسان ذكي ماهر في التحليل والتركيب فهو يصلح للكيمياء أو للصيدلة أو نحوها. . وهكذا. . . وهكذا. . .

والواقع أن قانون التخصص ليس بدعاً في نظام الحياة، بل هو قانون فطري، فطر الله الحياة وأقامها عليه، وأمر عباده باتباعه، والأخذ به، وحذرهم من الشيطان الذي يوسوس لهم كي يحيدوا عنه، فقال تعالىٰ حاكياً عن الشيطان قوله: ﴿ولآمرنهم فليغيّرن خلق الله﴾ [النساء: ١١٩].

معطيات العلوم الإنسانية:

فإذا نظرنا إلىٰ العمل الذي يجب أن تشتغل المرأة به ونلقي علىٰ كاهلها مسئوليته علىٰ ضوء مقررات علوم الإنسان، نجد أنه وظيفة حيوية هامة جداً لا غناء للإنسانية عنها ما دامت مفتقرة إلىٰ البقاء علىٰ هذه الكرة الأرضية، تلك الوظيفة هي وظيفة (الأمومة).

إن الفطرة تعد المرأة لهذه الوظيفة منذ اللحظات الأولىٰ لتكوينها جنيناً في بطن أمها كما يقرر ذلك علم الأجنة، فبعد التحام الحيوان المنوي بالبويضة في الرحم واتحادهما في كتلة واحدة يبدأ الاختلاف في تكوين الذكر عن تكوين الأنثىٰ، يقول الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه

الإنسان ذلك المجهول: «من المحقق أن جنس الفرد يتحدد بصفة قاطعة منذ اللحظة التي يتم فيها تلقيح حيوان الأب المنوي لبويضة الأم، وتشتمل بويضة الذكر المستقبل علىٰ كروموسوم واحد أقل من بويضة الأنثىٰ، أو علىٰ كروموسوم ضامر، وبهذه الطريقة تختلف خلايا جسم الرجل عن مثيلاتها في جسم المرأة».

وهكذا يقرر العلم أن جسم الأنثىٰ يتركب في الرحم تركيباً تدريجياً يجعلها تستعد لولادة الوالد وتربيته.

وفي هذا يقول الدكتور كاريل أيضاً وهو قد شاهد دور المرأة الحديثة في الحياة فأصدر حكمه مستنداً إلىٰ العلم والواقع فيقول: «***والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين الفسيولوكية غير قابلة للين، مثل قوانين العالم الكوكبي، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها، ومن ثم فنحن مضطرون إلىٰ قبولها كما هي.***

فعلىٰ النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن، من غير أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمىٰ من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحدودة».

ولسنا هنا أمام خصيصة خفية لكي نكثر من الاستشهاد عليها بأقوال علماء النفس وعلماء الإنسان، بل هي ظاهرة واضحة في تركيب المرأة الظاهري وبنيانها الجسدي، تشهد لدىٰ كل ذي عين يبصر بها أن المرأة اختصت بهذه الوظيفة، اختصاصاً يعجز عن منافستها فيه رجال العالم

أولهم وآخرهم عظيمهم وصغيرهم، ومن الذي لم يلحظ تكوينها النفسي لهذه المهمة منذ نعومة أظفارها حيث تميل إلىٰ اللعب بالدمىٰ، وتمارس بهن عمل الأمومة، ثم تجدها بعد ذلك وهي بكر عذراء تقبل علىٰ أي طفل وتلفه بحنوها ورحمتها. . !؟.

ولنذكر هنا نتيجة تجربة المرأة الأوروبية في خروجها إلىٰ العمل حيث جاءت بعد تلك الفترة الطويلة من اشتغالها فيه لتثبت أنه مناقض لطبيعة المرأة وفطرتها، كما دلت علىٰ ذلك الاستفتاءات التي أجريت في ذلك، منها استفتاء أجري في فرنسا «حاملة لواء تفلت المرأة» في مصانع رينو، فقد أكدت أغلبية عاملات مصانع رينو للسيارات أنهن يفضلن البقاء في المنزل عوضاً عن العمل خارجه، علىٰ الرغم من أن هؤلاء العاملات توصلن إلىٰ استقلالهن ضمن طبقة فقيرة مضطهدة اقتصادياً!!

ويقرر علم النفس وعلم التربية أن تفرغ الأم لوليدها ضرورة حيوية لكل من الولد والوالدة، وليست قاصرة علىٰ أحدهما، فالأم تشعر بحاجتها النفسية إلىٰ وليدها، أن تشرف علىٰ رعايته وتستمتع بالتعمق في فهم احتياجاته، وتلبيتها، والاستماع لمناغاته، والاستجابة إليها، حاجتها في ذلك كله لصيانة قلبها وكبدها، وهل في الكون أم لا ينخلع قلبها وتضطرب لترك وليدها كل غداة تذهب إلىٰ عملها، وهل فيهن امرأة لا تتمنىٰ أنها لم تتورط في العمل الذي كلفها هذه المشقة المرهقة. . .!!

كذلك الولد يحتاج إلىٰ أمه لحياته ولنفسه، ورغم كل أنواع اللبن المجفف التي اخترعت أو تخترع، فلن يزال لبن الأم الغذاء الطبيعي الأفضل، الذي لا يوازيه شيء علىٰ الإطلاق كما يقرر الأطباء، لكن

الحقيقة أن الحاجة النفسية والتربوية للطفل إلىٰ أمه أعظم شأناً من حاجته إلىٰ لبنها أيضاً.

ويقرر علماء سيكولوجية الطفولة، أن الطفل يكون بأمس الحاجة إلىٰ أمه لا سيما في الأشهر الأولىٰ من ولادته، وذلك خلافاً لما كان سائداً في أوهام الناس أن الطفل لا يتأثر بما يحيط به، ولا ينفعل بما يجري حوله في هذه الفترة، فقد تبين أن الطفل يكون شديد الإحساس بما يحدث من حوله، وأنه يتأثر بما يحيط به من الحنو أو القسوة تأثراً عميقاً يصاحبه بقية حياته وعمره، ويشمل نواحيه الصحية والنفسية، فصحة الأعصاب وهي عماد أجهزة الجسم تعاني الاضطراب والاختلال بسبب المؤثرات الخشنة التي تصيب الطفل في صغره، وشراسة الخلق والقسوة والحقد علىٰ المجتمع تنغرس في نفوس الأبناء الذين حرموا حنو الأمومة، وعطف الأبوة، حتىٰ يشب هؤلاء شاذين عن المجتمع يميلون للانحراف عن نظام الأمة والخروج علىٰ القانون الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلىٰ أن الأم هجرت بيتها، وأهملت طفلها وتركته إلىٰ من لا يحسن تربيته....».

أخطار خروج المرأة للعمل من خلال دراسات وإحصائيات :

والحقيقة أن اشتغال المرأة بغير هذه الوظيفة التي خلقت لها، وجبلت علىٰ ملاءمتها له أضرار تفوق كثيراً توهم القاصرين في تقدير العواقب، لأنها أضرار تشمل نواحي الحياة الإنسانية المادية والمعنوية، ومن أبرز ذلك :

١ ـ إفساد تربية النشء في صحته وعقله وخلقه :

وهو أمر مقرر لدىٰ الأخصائيين قاطبة كما سبق أن أشرنا، وقد دلت

الدراسات العلمية الحديثة والإحصائيات الدقيقة علىٰ أهمية الأم وضرورتها إلىٰ أبعد حد في نشأة الطفل صحيح البدن تام النمو، سليم العقل سوي النفس والسلوك، ومن أشهر هذه الدراسات الدراسات التي قام بها الدكتور رينيه سبيتنر، وويدوسن ووائز هيتزرولف، وقد جاءت كلها تؤيد بعضها بعضاً شأن سائر التجارب والأبحاث في هذا الصدد، وتؤكد ما قدمناه.

لقد أجرىٰ الدكتور رينيه سبيتنر «من نيويورك» مقارنة دقيقة بين جملتين من الأطفال وضعتا في مؤسستين متشابهتين في كل شيء مع فارق واحد هو درجة العطف والحنان التي ينعم بها النزلاء الصغار في كلتا المؤسستين.

وفي المؤسسة الأولىٰ أوكل أمر العناية بالأطفال إلىٰ أمهاتهم، بينما أسندت هذه المهمة في المؤسسة الثانية إلىٰ ممرضات مثقلات بالعمل بحيث كانت كل واحدة منهن مسئولة عن ٨ـ١٢ طفلاً.

ولقد أسفرت هذه الظروف المختلفة جداً عن نتائج متباينة للغاية، كان أبرزها «نسبة النمو» وهذا تعبير يشمل جوانب النمو كلها: النمو الجسدي، والنمو العقلي، والنمو النفسي عند الأطفال جميعاً.

وقد لاحظ سبيتنر بعد سنتين من مراقبة الأطفال ودراسة تطورهم، أن نزلاء المؤسسة الثانية المحرومين من عطف الأم وحنانها لم ينجحوا في تعلم الكلام، ولا المشي ولا تناول الطعام بمفردهم، وأدهىٰ من ذلك أنه لم تقع خلال السنوات الخمس التي استغرقت التجربة أي حادثة وفاة بين أطفال المؤسسة الأولىٰ، بينما مات من أطفال المؤسسة الثانية ٣٧٪ [مجلة طبيبك العدد ١٨٤].

ومن أشهرها أيضاً الدراسة التي أجريت علىٰ دور الحضانة للموازنة بين دار حضانة نموذجي وبين رعاية الأم.

وقد بينت هذه الدراسات أن الأطفال الذين يعيشون في دار حضانة نموذجي بعيداً عن أمهاتهم حتىٰ الشهر السادس من العمر ينمون بشكل أفضل من الأطفال الذين يعيشون بالقرب من أسر تعاني فاقة مادية.

وينقلب الوضع اعتباراً من الشهر السادس: فالأطفال بعد هذا العمر الذين يعيشون في دور حضانة نراهم يذوون مهما كانت الشروط النموذجية لهذه الدور، ويعانون تأخراً في النمو العقلي والانفعالي «أي العاطفي» لا يعانيه الأولاد الذين عاشوا في السجون بالقرب من أمهات منحرفات، فهم ينمون بيولوجياً «أي بدنياً» ونفسياً وعقلياً بشكل أفضل من أطفال دور الحضانة!!.

والتجربة التي قام به ويدوسن وضبطها بعناية تؤكد صحة هذه النتيجة التي سبقت أيضاً.

يقول الأخصائي في علم الأجناس البشرية «أشلي مونتاغو» موضحاً تلك النتائج:

«إن أهم ما يتطلبه الوليد هو العناية كي يبقىٰ حياً، غير أن تلبية حاجاته الجسدية لا تكفي دائماً لتحقيق هذا الغرض، وبفضل عدد كبير من الأطباء والباحثين الذين كرّسوا جهودهم كُلٌّ في حقل اختصاصه بتنا نعرف الآن أن الحب يشكل عنصراً أساسياً في «تغذية» كل طفل وليد، فالحنان شرط رئيسي لا غنىٰ عنه أبداً من أجل نموه وتطوره النفسي والعقلي والجسدي.

أما إذا حرم هذا العنصر فقد يتعرض ـ حتىٰ إن أحسنت تغذيته ـ للذبول وربما للموت، وهذه المهمة المقدسة هي مهمة الأم».

ويقول في هذا المضمار أيضاً:

«ومما لا ريب فيه أن تأثير الحرمان من الحب والحنان الذي هو التأخر علىٰ صعيد النمو الجسدي يبدو أشد وأفدح علىٰ صعيد نمو الشخصية وسلوك الطفل وتصرفاته، فالإجرام والعنف العصبي والتعقيد النفسي والتصرفات الاجتماعية الشاذة وغيرها من اضطرابات السلوك يمكن تفسيرها جميعاً بالحرمان الذي يكون قد عاناه الشخص وهو صغير في فترة طفولته».

«والواقع أن الصورة التي يكوِّنها الطفل عن العالم راجعة في الدرجة الأولىٰ إلىٰ العلاقة التي تقوم بينه وبين أمه، فإما أن تترك هذه الصورة في نفسه انطباعات عن عالم «ودود»، أو عالم «معاد»، تبعاً لما كان عليه حاله مع أمه محبوباً أو غير محبوب، فمن لم يلق العطف أبداً كيف يستطيع أن يعطيه؟!

مثل هؤلاء الأطفال يصبحون أشخاصاً من الصعب عليهم استيعاب المعاني العميقة للحب والحنان، ومن هنا كانت جميع العلاقات التي يقيمونها مع أترابهم سطحية أو عابرة».

«أرني مجرماً عريقاً أو جانحاً حديث السن أو مريضاً نفسياً أو مخلوقاً لا مبالياً، وسيكون بوسعي دائماً أن أقدم إليك البرهان علىٰ أنه في أعماقه السحيقة يبذل قصارىٰ جهده لاستدرار الحب والحنان اللذين حرم منهما

في طفـولته، ولكن الوسائل تعوزه، ويطيش سهمه في مهاوي الحقد والكراهية للناس والمجتمع جميعاً، وما ذلك إلا بدافع من شدة شعوره بالحاجة إلىٰ تلك العواطف التي لا تدرك».

«ومن هنا كانت أفضل وسيلة لمعالجة الأطفال ذوي المسلك العدواني أو ما نسيمهم «أشقياء» هي إغداق المزيد من الحنان عليهم لا أخذهم بالشدة والعنف».

«إن للحب قدرة خلاقة وفيه نبع دافق من العطاء سواء لمن يعطاه أو لمن يعطيه، وهو الشيء الوحيد في العالم الذي لا ينبغي لأحد أن يضن به علىٰ أحد، فإذا كان الحب صادقاً أصيلاً، لا كلفة فيه ولا افتعال انطوىٰ علىٰ قيمة تربوية عالية، لا يمكن لأي قيمة أخرىٰ أن تحل محلها، والحب الحقيقي الصادق لا يمكنه أن يؤذي أو أن يضر، فهو لا يستطيع إلا أن يكون خير معطاء».

«والفكرة ليست بالجديدة، إنما الجديد فيها هو تأكيد العلم المعاصر لها، وذلك أمر جوهري للإنسانية جمعاء» [مجلة طبيبك العدد ١٨٤].

شهادات كثيرة لا تعدّ ولا تحصىٰ تبرهن علىٰ أهمية رعاية الأم رعاية كلية كاملة لأولادها، وضرورة هذه الرعاية من أجل نشأتهم نشأة سوية يصلحـون بها شباباً للمستقبل المنتظر. وتدل أبلغ دلالة علىٰ الهدف التخريبي الذي تؤدي إليه دعوة الاشتراكية الجنسية الإباحية، ألا وهو التخلف للشعوب قاطبة، لكي تظل مستعبدة في قبضة الطغمة اليهودية وأعوانها، التي تسهر علىٰ بثّ عوامل الفساد في الأرض، لتحقيق أحلامها في التسلط علىٰ الشعوب. . . !!

فهل لنا أن نعتبر ونتيقظ من غفلة التقليد، ونلتزم بكل شدة وإصرار تنظيم الأسرة علىٰ الأساس الذي قرره الإسلام وجعل فيه المرأة صانعة للمجتمع في بيت الزوجية راعية كالئة، كما في الحديث «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**». رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ ميوعة الأخلاق:

وذلك بكثرة المخالطات لمن هبّ ودرج من الرجال، الأمر الذي يفقد المرأة فضيلة جوهرية في عنصر جمالها هي الحياء والخفر، ومن ثم يتسلط عليها ذئاب البشر من طلاب المتعة الدنيا.

استمع إلىٰ العالم الطبيعي الكبير «أنطون نيميلوف» السوفيتي وهو عالم شيوعي، ينادي محذراً من عواقب انتشار الفاحشة بسبب مشاركة المرأة في العمل، فيقول في كتابه «بيولوجية المرأة»: الحق أن جميع العمال قد بدت فيهم أعراض الفوضىٰ الجنسية، وهذه حالة جد خطرة، تهدد النظام الاشتراكي بالدمار، فيجب أن تحارب بكل ما أمكن من الطرق، لأن المحاربة في هذه الجهة ذات مشاكل وصعوبات، ولي أن أدلكم علىٰ آلاف من الأحداث يعلم منها أن الإباحية الجنسية قد سرت عدواها لا في العمال الأغرار فحسب، بل في الأفراد المثقفين من طبقة العمال أيضاً..».

وحسبنا أن نستمع لأي موظف واع في بلادنا هذه يعمل في دائرة مختلطة يحدثنا عن الآثار الخطرة لخروج المرأة إلىٰ العمل، لنتيقن أننا خطونا بلا وعي نحو الخطر الذي يحذر منه أئمة البلاد الأجنبية التي يعبدها طائفة من أبناء أمتنا!!.

٣ ـ في الناحية الاجتماعية :

يؤدي انصراف المرأة عن البيت إلىٰ شلل الحياة الاجتماعية، واضطرابها، فالأولاد يحرمون حنوها ورأفتها مما يؤدي إلىٰ أوخم العواقب. والزوج يفقد عنصر السكينة النفسية، يرجع إلىٰ بيته يريد أن يجد الابتسامة المتهللة. والأذن الصاغية تستمع إليه وهو يشكو ما ناله من العمل والتعب كي تحنه وتثبته، وإذا به يجد بدلاً من ذلك شكوىٰ أشد، وإرهاقاً أعظم فيزداد ألماً وإرهاقاً.

ولقد شهدنا بأنفسنا المشاكل العائلية تنشب من وراء ذلك حيث يلجأ الزوج للزواج بزوجة ثانية، إن لم يتطرف لما هو أبعد من ذلك. . .

٤ ـ في الناحية الاقتصادية :

يقوم اختيار العامل في عرف الاقتصاد علىٰ أساس وفرة إنتاجه، وطاقته للقيام بالعمل. وهذا العنصر يختل في تشغيل المرأة اختلالاً ظاهراً، فالمرأة تتعرض كل شهر للطمث الذي يستمر غالباً سبعة أيام وقد يمتد أكثر من ذلك، وفي هذه الدورة الشهرية تكون عرضة للآلام، كما أنها تعاني من تغير مزاجها ونفسيتها، مما يجعلها علىٰ غير مقدرتها الكاملة وطاقتها التامة.

وأعظم من الطمث فترة الحمل ثم الوضع، فمنذ الشهرين الأخيرين للحمل أو الشهر الأخير علىٰ الأقل لا يجوز تكليفها بأي عمل يتعبها، لأنها تكون في حال أقوىٰ من المرض، تضطرب أعصابها، وتضعف ملكات التفكير والتأمل لديها.

ثم بعد الولادة تكون جروح المرأة ـ كما يقرر الأطباء ـ عرضة للتسمم،

مما يجعلها مستعدة لأمراض متعددة، وتتحرك أعضاؤها الجنسية باستمرار كي تعود إلىٰ حالها التي كانت عليها قبل الولادة، وهكذا تكون المرأة بسبب الحمل والولادة أشبه شيء بالمريضة، لمدة أشهر عديدة، يجب فيها أن تعفىٰ من العمل.

فهل من الدعم للاقتصاد ومن مصلحة الاقتصاد تعطيل المرأة عن وظيفتها الحيوية العظمىٰ كي تصبح خارج بيتها عاملاً مبتور الطاقة، يتعرض كل شهر لخلل في سير عمله، وكل سنتين أو ثلاث لتعطيل العمل تلك الفترة الطويلة بسبب الحمل والولادة..؟!.

٥ ـ العطالة بين الشبان:

ومن أشد المخاطر الاجتماعية لتشغيل المرأة أنه يسد الطريق علىٰ الشباب فيتعطلون عن العمل، وها أنت ذا تجد المرأة التي لا تعدم من ينفق عليها ويكفيها قد انبثت هنا وهناك في مجالات العمل، فشغلتها وتركت من ورائها رجالاً لهم أسر، وشباباً في مقتبل العمر لا يجدون عملاً، فيتضور صاحب الأسرة لما حرم من العمل الذي شغلته المرأة، ويتوقف الشاب العازب عن الزواج إذ لا يجد ما يقيم به أود نفسه، فضلاً عن أن يجد ما يعينه علىٰ السعي إلىٰ زواج وتأسيس أسرة.

وهكذا يعود الوبال علىٰ المرأة وعلىٰ الرجل معاً، وتحرم المرأة متعة الحياة الزوجية الهنيئة بسبب الحرص والشح!!.

كما أن هذا يعني أن يلجأ هؤلاء الشبان للوسائل المضرة ببلادهم وبأمتهم في سبيل لقمة العيش، التي لا يجد الإنسان عنها مناصاً، ولا مفراً.

علىٰ أنه قد يتوهم بعضهم أن هذا العائق سوف يزول إذا افتتحنا مجالات جديدة لموارد الاقتصاد، لكن الحقيقة تقرر أن الأمر لا يلبث أن ينعكس، إذ تعجز الأمة بعد فترة عن التوسع في مشاريع الصناعة والنهضة الحضارية بسبب آخر هو قلة العمال ونقص الأيدي العاملة عن العدد اللازم لمتطلبات النهضة، وسبب ذلك واضح، وهو تعطل معمل الإنتاج البشري «أي المرأة» عن إمداد الأمة بالمزيد من المواليد، لأن المرأة إذا خرجت للعمل ستجد نفسها مضطرة لاتخاذ التدابير الممكنة لمنع الحمل كي تستطيع الوفاء بمطالب عملها. . .

وهنا نحن نجد دولاً كبرىٰ كفرنسا مثلاً تحس بالخطر يحدق بها بسبب نقص المواليد، حتىٰ إنها لتمنح مرتباً خاصاً للعائلة مقابل كل طفل تنجبه، ولو لم يكن الأبوان من الموظفين.

بل إن الدول الشيوعية أحست بذلك فأخذت بعضها تمنح التشجيعات المالية للمرأة التي تقوم علىٰ الأطفال، ففي المجر تقرر أن تتلقىٰ الأمهات اللاتي يبقين في المنازل مع أولادهن مبلغ ٨٠٠ فورينت «عملة المجر» بالنسبة للطفل الأول، و٩٠٠ للطفل الثاني و١٠٠٠ للطفل الثالث، ولأي طفل بعد الثالث أيضاً، وذلك بدلاً من ٦٥٠ فورينت الحالي.

وسوف تصبح إعانة عملية الولادة ٢٥٠٠ فورينت، وسوف يتم تغيير السياسة الإسكانية وسياسة المعونات الخاصة بالعطلات كي تشجع علىٰ تكوين الأسر الكبيرة.

ولكننا نرىٰ أن هذا الإغراء لا يؤدي إلىٰ الهدف المرسوم، لأنه لم يعالج

المشكلة من أساسها، وكل علاج لا يتناول الداء من جذوره لا يكون أكثر من دفن الرأس في الرغام، كما يصنع النعام..!!

الحقيقة أن خروج المرأة من البيت أخطر بدعة تهدد حضارة الإنسان، ومستقبل الأجيال، كما شهد بذلك علماء الاختصاص الكبار الذين أوردنا شهاداتهم، وكما خلص إليه علامة علم الإنسان الدكتور الكسيس كاريل في كتابه العالمي: «الإنسان ذلك المجهول» فقال:

«لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة حينما استبدل المدرسة بتدريب الأسرة استبدالاً تاماً، ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة، حتىٰ يستطعن الانصراف إلىٰ أعمالهن، أو مطامعهنّ الاجتماعية، أو مباذلهنّ، أو هوايتهنّ الأدبية أو الفنية، أو للعب البريدج، أو ارتياد دور السينما، وهكذا يضيعنَ أوقاتهنّ في الكسل».

إنهنّ مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة... وحينما يكون الطفل وحده فقط في المدرسة يظل غير مكتمل، ولكي يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج إلىٰ عزلة نسبية، واهتمام جماعة اجتماعية محدودة تتكون من الأسرة».

ويقول الدكتور كاريل:

«إن المدرسين غالباً ما يؤدون عملهم التهذيبي كما يجب، ولكن النشاط العاطفي والجمالي والديني يحتاج إلىٰ أن ينمىٰ، فيجب أن يدرك الوالدان بوضوح أن دورهما حيوي، ويجب أن يُعَدّا لتأديته».

«أليس من العجيب أن برامج تعليم البنات لا تشتمل بصفة عامة

علىٰ أيّة دراسة مستفيضة للصغار والأطفال، وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية؟!. يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل علىٰ الحمل فقط، بل أيضاً علىٰ رعاية صغارها».

هل تكذب المسلمة؟

أخرج مسلم في صحيحه عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ رخّص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب. والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها، تحت هذا العنوان جاء هذا المقال الجميل المفيد في مجلة «المجتمع» فأحببت تسجيله هنا لما فيه من الفائدة إن شاء الله.

هذا الحديث الشريف إعجاز نبوي عظيم، في توفير أسباب السلام الاجتماعي الشامل، ففيه يبيح ﷺ الكذب في ثلاثة أمور فقط، يمكن أن يكون الصدق فيها سبباً في فقدان السلام الاجتماعي المنشود من كل مجتمع.

فلو صدق رجل يريد الإصلاح بين متخاصمين، في نقل كل ما يقوله أحدهما عن الآخر. لكان كمن يصب الزيت على النار، فبدلاً من أن يطفئها، يزيدها اشتعالاً ولهيباً.

لكنه لو نسب كلاماً طيباً إلى كل من المتخاصمين، ونقله إلى الآخر، لكان حقاً كمن يصب الماء على النار ليطفئها، إذ أن النفس الثائرة ستهدأ، والمشاعرة الفائرة ستستقر، وستشيع أحاسيس الحب محل أحاسيس الكره والبغض.

وكذلك الأمر في من يكذب في الحرب، فلو صدق القائد مثلاً في إعلان خططه العسكرية، وكشف تحركاته الحربية، لمكّن الأعداء من جيشه، وسبب الهزيمة لأمته، ومن ثم التصدع الاجتماعي الرهيب نتيجة الانكسار في الحرب.

والأمر نفسه في خلية المجتمع الأولىٰ: الأسرة، لو أن عموديها، الزوج والزوجة، كشف كل منهما للآخر ما يمرّ في نفسه من مشاعر الحنق والضيق للآخر، لكان كمن يشعل مشاعر الكره في نفس شريكه.

لهذا أباح الرسول للزوج وللزوجة، أن يكذب كل منهما في مشاعره، فلا يبوح بما يخالف المودة والحب بينهما.

وواضح أن إباحة كذب المرأة علىٰ زوجها، وكذب الزوج علىٰ امرأته، إنما هو قاصر علىٰ كذب المشاعر، فالرسول ﷺ كما جاء في الحديث رخّص في الكذب الذي يجلب المودة، لا في الكذب العام، وهو ما يستفاد من الإباحة الأولىٰ في كذب الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، فإذا أراد الزوج أن يكذب علىٰ زوجته فيعبّر عن حبّ لا يشعر به آنذاك أو أرادت الزوجة أن تلاطف زوجها بحديث مودة لا تشعر به حقيقة، فإنه أمر مباح.

وإباحة هذا الكذب في المشاعر بين الزوجين، إعجاز اجتماعي عظيم، اكتشفه علماء الاجتماع في هذا الزمان، حيث أعلنوا بعد دراسات وأبحاث أن المصارحة بين الزوجين ليست حكيمة حيث تكون المشاعر ليست مشاعر مودة.

يقول الدكتور هتشن في مجلة «الرابطة الطبية» تحت عنوان «السلام

الضائع بين الأزواج» مخاطباً الزوجة التي تصارح زوجها: «قد يكون زوجك علىٰ خطأ، بل أغلب الظن أنه علىٰ خطأ، ولكن ما الداعي لأن تقولي له أنه علىٰ خطأ، إن الرجال يحبون أن يدركوا أنهم يعملون خيراً مما يعمل غيرهم، فلم لا تتركينه يظل علىٰ إدراكه هذا؟! عليك أن تدفعي هذا الثمن، فهو وأيم الحق ثمن قليل تشترين به الأمن والسلام وحسن الصحبة».

وتقول خبيرة في الشؤون الزوجية وعلم النفس، وهي الدكتورة «نورما لانكستر» من نيويورك «إنه لا يدمّر الحياة الزوجية شيء مثل الصدق المطلق الذي لا يعرف الحدود، حين تتفاوت قدرات الزوجين النفسية والعقلية، وتتفاوت المفاهيم التربوية والاجتماعية أيضاً».

وتتساءل الخبيرة قائلة: «هل يمكن أساساً أن يكون المرء صادقاً مع شريك حياته مائة بالمائة؟ الواقع أن ذلك مجرد أحلام وتمنيات ومثاليات لا وجود لها في الحياة الواقعية إطلاقاً».

وتؤكد هذا أيضاً الدكتورة «كينيت رئيسة مركز فنون وعلوم الاتصالات الإنسانية» في تقرير لها حول الصراحة بين الزوجين بقولها:

إن الصراحة التامة بين الزوجين عادة ما تكون مضارّها أكثر من منافعها.

وأكدت أن الأبحاث الميدانية التي أجرتها علىٰ مدىٰ عام وشملت [١٨٤] من المتزوجين، أظهرت أن الصراحة المطلقة لا تناسب الزوجين، وحذرت من اتباع الصراحة بين الزوجين فيما يتعلق بالمشاعر المرتبطة

بالتغيرات المزاجية، وقالت: إنه يحسن عدم البوح بمثل هذه التقلبات، خاصة وأنها في معظم الأحيان سريعة الزوال.

وأضافت أن فكرتها الجديدة لا ترمي إلى حبس الشخص لنفسه في عزلة عن شريك حياته، ولكن المقصود بها هو مراعاة أن ظروف الحياة لم تعد تمكن الطرف الآخر من تحمل كافة الاضطرابات المزاجية لشريك أو شريكة الحياة، وأوضحت أنه يجب التمييز بين الصراحة والأمانة.

وهكذا أختي المسلمة ينبغي على الزوج والزوجة أن لا يفصح كل منهما عن حقيقة مشاعره وأفكاره، إذا كانت هذه المشاعر أو الأفكار تجرح الآخر أو تؤذيه، بل لا بأس من الكذب فيها، بأن تظهر الزوجة المودة لزوجها، وإن لم تكن تشعر بالمودة في ذلك الوقت، وتبدي قناعتها ببعض آرائه العامة، حتى ولو لم تكن على قناعة تامة بها.

كيف تعيش المرأة في بيتها؟!

ما أروع أن يعيش الإنسان حياته، سعيداً هنيئاً في بيته، ليس هناك ما ينكد صفو أيامه، ويجعلها سوداء كسواد الليل في فصل الشتاء، فإذا أراد الزوجان أن يعيشا في بيت مثالي فلا بد أن يستمعا إلىٰ شروط البيت المثالي وصفاته. يقول الأستاذ محمد عثمان الخشت في كتابه «المشاكل الزوجية وحلولها» معرفاً ذلك، وواصفاً الأسس والمعالم لذلك، فلنتعرف عن قرب علىٰ البيت المثالي:

فالبيت المثالي:

هو البيت الذي أُسِّسَ بنيانه على تقوىٰ من الله ورضوان من أول يوم قام فيه، وذلك باتباع الكتاب والسنة، والاحتكام الدائم والمستمر إليهما عند أي خلاف، قال تعالىٰ: ﴿*فإنْ تنازعتم في شيء فردُّوه إلىٰ الله والرسول*﴾ [النساء: ٥٩].

والبيت المثالي:

بسيط في كل جوانبه، سواء كانت جوانب مادية أم معنوية. فأما من الناحية المادية فهو بعيد عن مظاهر الإسراف في المأكل والمشرب والأثاث والأدوات المنزلية وغيرها. قال تعالىٰ: ﴿***وكُلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين***﴾ [الأعراف: ٣١].

وفي صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: «نهانا النبي ﷺ: ***أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج [حرير دودة القز] وأن نجلس عليه»***.

ومن المعلوم أن كلامنا هذا لا ينصرف إلىٰ مظاهر الزينة المعتدلة والمباحة، بل ينصرف إلىٰ الإسراف والتجاوز فحسب، قال تعالىٰ: ﴿***قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون***﴾ [الأعراف: ٣٢]. هذا فيما يتعلق بالبساطة في الجوانب المادية.

وأما البساطة في الجوانب المعنوية فأعني بها ما يتعلق بمناحي السلوك والتفكير، حيث إن أهل البيت المثالي المسلم يقتفون دائماً منهج النبي السلوكي الذي أخبرت عنه عائشة رضي الله عنها حين قالت: «***ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما***»، كما أنهم في تفكيرهم يبتعدون عن الغموض والسطحية، ويحرصون علىٰ الوضوح الذي يقترن دائماً بالعمق والإيجابية.

البيت المثالي:

بيت طاهر نظيف، فيه أناس يحبون أن يتطهروا، لأنهم يعلمون أن: ﴿***والله يحب المطهرين***﴾ [التوبة: ١٠٨].

وهم حريصون كل الحرص علىٰ أن يبدو بيتهم جميلاً لأنهم يعلمون «***أن الله جميل يحب الجمال***» رواه الإمام مسلم والترمذي.

ولذلك ترىٰ هذا البيت خالياً من القمامة والحشرات وكل ما يدخل تحت مفهوم اللانظافة.

والبيت المثالي :

يقوم على قواعد مُحكمة من السكينة والمودة والرحمة، وهو بمعزل عن الضوضاء والصخب، ليست فيه أصوات مرتفعة ولا صارخة قال تعالىٰ: ﴿*واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير*﴾ [لقمان: ١٩].

ودائماً تعلو وجوه أفراده الابتسامة الصافية الرقيقة التي لها أبد الأثر في نفس المبتسم له، ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن حبان في صحيحه: «*تبسمك في وجه أخيك لك صدقة*».

وهذا البيت في قيامه على المودة والرحمة إنما يُعد اللبنة الأولىٰ لبناء مجتمع الجسد الواحد القائم أيضاً على المودة والرحمة. ذلك أن المجتمع في النهاية ما هو إلا مجموعة أسر، فإذا استطعنا أن ننشيء الأسرة المتوادة المتراحمة فإنّا بالضرورة قد أنشأنا المجتمع المتواد المتراحم.

وهذا المفهوم يتجلىٰ لنا من قوله تعالىٰ: ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ [الروم: ٢١]. فهنا تقرير لما عليه الأسرة المؤمنة من التواد والتراحم، ثم تتسع الدائرة، فيصف الله تعالىٰ مجتمع المؤمنين بقوله تعالىٰ: ﴿**رحماء بينهم**﴾ [الفتح: ٢٩]. ﴿***أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين***﴾ [المائدة: ٥٤]. كما يصف الرسول هذا المجتمع بقوله: «*مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد*....» رواه مسلم.

والبيت المثالي :

يجعل لكل طفل أو ابن فراشه الخاص، لأن التفريق بين الأولاد في

المضاجع أمر مطلوب، لقول النبي ﷺ: *«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»* رواه أبو داود.

والبيت المثالي:

هو الذي يتساعد أفراده جميعاً وتتوزع أعماله بينهم، كل حسب طاقته وإمكاناته وبما يتناسب مع ميوله ورغباته، ولا فرق في هذا بين صغير وكبير، ولنا في الرسول ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يساعد أهله في شئون المنزل: فيخصف نعله، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويحمل أطفاله.

والبيت المثالي:

هو البيئة الطبيعية الوحيدة التي تُربي فيه الأطفال تربية جسدية وعقلية ونفسية مستقيمة، وهو المجال الفريد الذي يمكن من خلاله تنمية مشاعر العطف والحب والحنان والمودة والتكافل في نفوسهم.

وإذا كانت المحاضن الجماعية الحكومية بوسائلها وإمكاناتها الكبيرة تستطيع أن ترعى الأطفال من الناحية الجسدية رعاية علمية تماماً، فهي لا تستطيع أن تفي بحاجاتهم النفسية، التي لا يمكن إشباعها إلا في الجو الأسري، الذي يتوفر فيه للطفل أبوان يشعر بأنه يمتلكها تماماً، وهكذا يجب أن يكون البيت المسلم المثالي، حتى ترتاح الأعصاب وتطمئن النفوس، وتتحقق السعادة.

الغناء في الاسلام

إن الحديث عن موضوع الغناء في الإسلام لا بد أن يتم من خلال نقطتين اثنتين:

أولاهما: النصوص التي وردت في هذا الموضوع، فهي التي تحكم المسلم في كل تصرفاته، إذا لا جدال في النص، والجدال لا يعني إلا فقدان المسلم لهويته الإسلامية: ﴿*فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يُحكّموك فيما شَجَر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً*﴾ [النساء: ٦٥].

﴿*وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم*﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وما نشتجر فيه اليوم ونختلف علىٰ حكمه، فلنرده إلىٰ الله ورسوله ليحكم فيه، وإلا فلسنا مؤمنين.

وثانيهما: بعد الالتزام بالحكم الإسلامي، فلا بد من الوقوف علىٰ حكمته وأسراره ومواطن العظمة فيه ومن خلال هاتين النقطتين يمكن الحديث عن الأغنية والموسيقىٰ اليوم.

من جانب النصوص: أولا في كتاب الله تعالى:

قال تعالىٰ: ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب أليم*﴾ [لقمان: ٦]، وقد انصبَّ

التفسير المأثور لهذه الآية عن الصحابة والتابعين علىٰ أن لهو الحديث هو: الغناء واقتناء قيناته.

قال تعالىٰ: ﴿... *وأنتم سامدون*...﴾ [النجم: ٦١]. إذ كان تفسيرها في المأثور كذلك: وأنتم لاهون مغنون. وهي في لغة حِمْيَر: الغناء.

وقال تعالىٰ: ﴿***واستفزز من استطعتَ منهم بصوتكَ، وأجْلب عليهم بخليك ورَجِلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدْهُم، وما يعِدُهم الشيطان إلا غروراً***﴾ [الإسراء: ٦٤]. وصوت الشيطان هو الموسيقىٰ المصاحبة للغناء، وبالرجوع إلىٰ أمهات كتب التفسير يتضح هذا الموقف بجلاء.

ثانيا: في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

روىٰ الترمذي عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ بيد عبدالرحمن بن عوف فانطلق به إلىٰ ابنه إبراهيم، فوجده يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ في حجره فبكىٰ؛ فقال له عبدالرحمن: أتبكي؟ أو لم تكن نهيتنا عن البكاء؟ فقال: «***لا، ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين؛ صوت عند مصيبة ـ خمش وجوه، وشق جيوب ـ ورنة شيطان***».

وأخرج أبو داود عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع صوت زمارة راعٍ فوضع إصبعيه في أذنيه، وعدّل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي حتىٰ قلت: لا. فوضع يديه، وأعاد راحلته إلىٰ الطريق وقال: رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راعٍ فصنع مثل هذا.

وروى ابن ماجة وابن حبان عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: **«يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»**.

وأخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تستحل أمتي الحرَّ والحرير والخمر والمعازف»**.

مع حكمة النصوص:

ونتقل من النصوص إلى الوقوف أمام حكمتها وأسرارها، وعظمة هذه الأحكام، فالفطرة البشرية تتنازعها عوامل الخير والشر، عوامل الخير تدفعها لتأدية الواجب الملقى عليها، وعوامل الشر تدفعها للاستسلام للدعة والهوى والعاطفة المنحرفة.

ولا بد من الإشارة في بداية الحديث إلى أنه يتناول الأغنية العاطفية، لا الأغنية الدينية التي تتمثل في صورة الحداء والرجز لإثارة المشاعر الإسلامية العظيمة:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وكل ما في هذه الصور المنمية للحب العظيم للإسلام وشرعته، ولحب الله ورسوله.

ونعود بعد هذه الملاحظة للأغنية العاطفية المثيرة للغريزة الجنسية، والمستمع للغناء يبدأ من نقطة انحراف صغيرة، وتكبر زاوية الانفراج حتى تبعد نهائياً عن الطريق في مراحل متلاحقة يسلم بعضها رقاب بعض:

فالخطوة الأولى على الطريق: تكمن فيها يعانيه المستمع للغناء من تضارب بين دافعين: هاتف الشيطان الذي يدعوه إلى اللذة الناشئة عن تحرك العواطف الناشئة وإيقاظ المشاعر الغافية، وإضطراب الأحاسيس المضبوطة بميزان الله، فقد يتصرف أول الأمر مستجيباً للنصوص التي تمنعه من الاستسلام للهوى، ولكن الشيطان لا يدعه يفلت بهذه السهولة، فلا بد أن يَرِدَ عليه من المنافذ جميعاً: ﴿**ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾. والباب الخلفي الذي ينفذ منه الشيطان أن النفوس إذا استمرت على رتابة واحدة ملت وكرهت وسئمت فلا بد من الترويح عنها والتخفيف من أعبائها بهذه التسلية القصيرة والبريئة والخفيفة.

فيعود ليستجيب لدافع الشيطان والموقع الذي ينطلق منه الشيطان في بداية الأمر موقع سليم بل له ما يسنده من نص، غير أن النص يوضع في غير محله، ويضعه حول الحمى يوشك أن يقع فيه عند الشبهات، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ويصبح المستمع أقرب فأقرب إلى مواقع الشيطان.

ويمر الزمن لتبدأ الخطوة الثانية، ويبدأ الشيطان جولته من جديد: إنه يجد في الغناء لذة واضحة، ويسرح فيها مع متعة حالمة، فيضطرب المؤشر الزمني الذي يحدد له الوقت، وتصبح السفينة عرضة لرحمة الرياح،

وأعني يصبح المستمع تحت رحمة عاطفته التي خرجت من إطارها المرسوم، ويسير في هذه الهوة، فينتقل من الموقع الأول: موقع اللحظة البسيطة للتخفيف عن النفس إلىٰ الموقع الثاني: موقع الاستماع بالغناء والسماع، يجد بهذه اللذة هرباً من الواجب، ويلتذ بها رعباً من المسؤولية.

وعندما يصل إلىٰ هذا الحد تبدأ الخطوة الثالثة، ويعود الشيطان ليمارس جولة أخرىٰ جديدة، يعود ليثير في نفسه هذه التساؤلات: لم حرم الإسلام السماع؟ لم حظر علىٰ الإنسان هذه المتعة؟ أليست هذه العاطفة بحاجة إلىٰ تلبية وتصريف؟ هل يريد الإسلام منا الكبت؟!

ولا يزال مع تساؤلاته هذه حتىٰ يفقد موقعه الثاني، وينتقل إلىٰ موقع ثالث من مواقع الشيطان وهو أن يرىٰ المستمع في الإسلام خطأ هذا الحكم؛ وهذه بداية الانهيار: أن يبدأ ليرىٰ المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

ولا يقف الشيطان عند هذا الحد، فلا بد أن يقود إلىٰ قاع الانحدار بعد أن وصل إلىٰ الحافة، يأتيه بالتفاف عجيب، ويريد أن يغيِّر فكره كله وهي الجولة الأخيرة له.

والخطوة الرابعة: يقوم بـ «غسيل مخ» له علىٰ حد التعبير القائل يعود به الإسلام من جديد، ويؤكد له أن الإسلام لا يكبت النفوس ولا يحارب العواطف، ولا يرفض الغناء، أو ليست هذه النفوس من عند الله؟ والعواطف قد كونها الله؟ والصوت الجميل هبة من الله؟ ولا يعقل أن يحرم الله شيئاً خلقه بيده، وإذن الإسلام لا يحارب الغناء العاطفي، والذين يدّعون ذلك هم متعصبون، وعندئذٍ يكون قد انتهىٰ به إلىٰ قاع الضلال، فبعد أن يصبح المنكر عنده معروفاً، والمعروف منكراً، يبدأ مهمته الجديدة: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

ماذا يريد الغناء من الإنسان :

يريد من الفتىٰ والفتاة أن تتحركَ عواطفهما المستثارة وتستشاط، لماذا؟! وإلى أين؟ نحو أي اتجاه؟! ليس أمامهم إلا الاتجاه المحرم للتعبير عن هذه العواطف المتصاعدة، ولكن المحرم ممنوع، والصلة بين الفتاة والفتىٰ محظورة في المجتمع الإسلامي، فلتفكر الفتاة أو الفتىٰ بتجاوز هذا المحظور، قد يكف قليلاً حين تهدأ عاطفته، لكن الأغنية العاطفية تعود لتجدد السعار من جديد، وتشعل اللظى من جديد، ولا بد لهذا اللظىٰ أن ينطفىء، ولا بد لهذه الطاقة من تصريف، فكيف؟! لا تجد السبيل، فتفكر في إيجاد السبيل، وتجاوز منطقة الأمان إلىٰ منطقة الخطر، وتجاوز حرمات الله لتقع في الحرام.

«الحلال بيّن والحرام بيّن. وبينهما أمور متشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمىٰ، ألا وإن حمىٰ الله محارمه» أخرجه البخاري ومسلم.

لقد هيأ الإسلام الطريق العفيف والنظيف لتلبية هذه العواطف عن طريق الزواج، وجعل من كل فتاة حمىً لله، وغيرة الله أن تنتهك محارمه.

أما العواطف التي يريدها الإسلام أن تنمو والتي يريدها أن تكون مقْوَد الحركة للمسلم، هي عواطف الارتباط بالله، حب الله، وحب رسوله، بتغاء مرضاة الله فهي المؤشر الدقيق للسلوك كما يقول رسول الله صلوات الله عليه: ***«من أحب لله وأبغض لله. وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»***.

إنها عاطفتان متصارعتان: الهوىٰ وعلىٰ رأسه عاطفة الاستسلام لمشاعر الجنس التي تلصق الإنسان بالأرض، وعاطفة الانقياد لله والاستسلام له حتىٰ وهو يمارس عاطفته الجنسية عن طريق الزواج، يمارسها بإذن من الله يباشره بإمرة حب الله وطاعته.

إن الإسلام الذي حرم النظرة لأنها سهم من سهام إبليس؛ فلا غرو أن يحرم الأغنية المائعة الماجنة التي تفعل في النفس أشد من فعل النظرة، وكلتاهما ـ أي النظرة والأغنية ـ هي السلاح الفعال بيد الشيطان ليصطاد ضحاياه بهما.

إن الشيطان لك عدو فاتخذيه عدواً، ماذا تريد الأغنية العاطفية المثيرة منك؟ تريد أن تتحركي نحو المحظور أو تعاني الضغط الشديد العنيف علىٰ عواطفك، وإن التزمت بشريعة الله فدعي هذه الهوة وسيرىٰ علىٰ هدي الله.

يريد منكِ أن تكوني عند قواعده، وأن تكوني ضمن حصونه بحمايته وكنفه؛ فلا تسلمي نفسك للعراء حين تحركين عاطفة أراد الله لها طريقاً واحداً وأباحه وهو الزواج، لا تثيري حرباً داخلية عليك من كلمات الأغنية العاطفية المائعة.

إن كنتِ تريدين الجنة فالجمي هواك، وفري إلىٰ الله، ولا جنة بدون ضبط، ولا نعيم بدون قيد، حتىٰ يغدو القيد بعد ذلك نعمة ورحمة:

﴿فأما من طغىٰ، وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هي المأوىٰ، وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوىٰ، فإن الجنة هي المأوىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ـ٤١].

يريد منكِ الإسلام أن تكوني قائدة لهواك لا مقودة، وضابطة لعواطفك لا مسلوبة، لتصبح العواطف بعد ذلك كلها تنهل من معين الله، من معين الإيمان: «*لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به*».

الأغنية هي الباب المفتوح لاضطرام العاطفة، هي المحرك الوحيد لتصريفها في غير ما أحل الله، أو بكبتها ضمن ما شرعه الله، فلنبتعد عن كل ما يثير في أنفسنا هذا الأوار، هذا التناقض والصراع، هذا التعقد والانهيار، الأغنية هي الأداة التي يحملها الشيطان ليدفعك بها مطرودة من حظيرة الله ولا وسط بين الطرفين:

إما الهدىٰ وإما الضلال، إما الحق وإما الهوىٰ، وإن لم تستجيبي للحق فقد استجبت للضلال، ﴿*فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله؟! إن الله لا يهدي القوم الفاسقين*﴾ [القصص: ٥٠]، والحمد لله رب العالمين، وهذا ما نقلته لك من كتاب «إليك أيتها الفتاة».

شبهات وردود

مواطن الاشتراك والاختلاف

خلق الله آدم ليكون خليفة له في الأرض يقوم بعمارتها وإحقاق الحق فيها ﴿*وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة*﴾ [البقرة: ٣٠]. وخلق حواء من آدم لتكون عوناً له في هذه الحياة، يسكن إليها، ويطمئن قلبه بها، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمّله ويكمّلها، ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر وإلا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد.

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم علىٰ أساس عنصرين هامّين في الحياة هما المودة والرحمة ﴿*ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة*﴾ [الروم: ٢١]. وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الأخرىٰ من حب وانسجام ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالىٰ وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمىٰ نفسه الودود الرحيم ـ وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فإن ذلك يؤدي إلىٰ الاستقرار الذي يؤدي إلىٰ السعادة التي ترفرف علىٰ الرجل والمرأة وعلىٰ الأسرة كلها وبالتالي علىٰ المجتمع الإسلامي كله ـ وهذه العلاقة تقوم علىٰ العقل والعاطفة، وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الأمور في نصابها ـ وبذلك يمكن التغلب علىٰ كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين.

وقد حذر الله آدم وحواء من إبليس بقوله: ﴿*فلا يخرجنكما من الجنة فتشقىٰ*﴾ [طه: ١١٧]. وبهذه الآية حدد الله سبحانه وتعالىٰ مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده، ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضاً لقال: فتشقيا بدلاً من فتشقىٰ، كما بين الله سبحانه وتعالىٰ اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿*والليل إذا يغشىٰ، والنهار إذا تجلّى، وما خلق الذكر والأنثىٰ، إن سعيكم لشتىٰ*﴾ [الليل: ١-٤]. فسعي المرأة مختلف عن سعي الرجل ومهمة المرأة أن يسكن إليها الرجل فتخفف من آلامه، وتهون عليه متاعبه، وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة.

ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج إليها الإنسان، فمن يرجع إلىٰ بيته يجد مصدراً من مصادر الحنان والعطف والرقة، وهي زوجه، فإذا ما وجد ذلك استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء الجهاد الذي كان يمارسه في الحياة. فالراحة التي فقدها في الخارج وهو متحفظ في ملابسه وفي مشيته وفي كلامه سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والاطمئنان.

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتىٰ وفاتها ـ ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته حتىٰ لقد غارت منها السيدة عائشة مع أنها كانت ميتة ـ ومن الأمثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة زوج النبي الكريم وذلك حين اشتاق النبي وصحبه إلىٰ مكة فلما ذهبوا ليعتمروا وكانوا علىٰ بعد عشرين كيلو من مكة وقف الكفار ليصدوهم عن الذهاب إلىٰ البيت

وحدثت مفاوضات كان من نتيجتها أن عقد النبي صلوات الله وسلامه عليه معهم معاهدة تنصّ علىٰ أن يرجع هذه السنة بدون دخول مكة حتىٰ لا تقول قريش: إن المسلمين دخلوا مكة عنوة وقهراً عنها ـ فيكون علىٰ المسلمين العودة هذا العام علىٰ أن تسمح لهم قريش في العام المقبل بالدخول إلىٰ بيتها بأمرها ـ واقتنع الرسول الكريم وكتب العهد.

ولكن المسلمين حزنوا وقالوا: يا رسول الله كيف نقبل الدنية علىٰ نفوسنا لابد وأن ندخل فكان النبي يقول لهم: أنا رسول الله لن أخالف أمره ولن يضيعني، ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا غاضبين وبخاصة وأن من بنود الاتفاق أن من أسلم من الكفار وذهب إلىٰ محمد فعلىٰ محمد أن يرجعه إلىٰ الكفار ومن كفر من المسلمين فليس عليهم أن يردوه. . . فلما فرغ النبي الكريم من قصة الكتاب قال لهم: قوموا فانحروا ثم احلقوا وذلك ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلىٰ المدينة ـ فلم يقم منهم رجل حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة فذكر لها ما لقي من المسلمين فقالت أم سلمة: يا رسول الله إنهم جاءوا يريدون دخول المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم علىٰ بُعد قليل منه فهم مطرودون، ولكن اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحداً حتىٰ فعل ذلك، فلما رأىٰ المسلمون ما صنع النبي زال عنهم الذهول وأحسوا خطر المعصية لأمر النبي ﷺ فقاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلق بعضهم بعضاً حتىٰ كاد يقتل بعضهم بعضاً من الغم.

ثم إن هناك مهمة أُخرىٰ للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري

وهي إنجاب الأطفال وتربيتهم التربية الكاملة التي يحتاج إليها الطفل ذلك أن المرأة تتميز بالأمومة أي الإنتاج البشري وتربيته ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿*والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة*﴾ [النحل: ٧٢].

مواطن الاشتراك:

١ ـ طبيعة التكوين.

٢ ـ حرية الاعتقاد.

٣ ـ الثواب والعقاب.

٤ ـ الحقوق المدنية.

٥ ـ العلم والعمل.

أولا: طبيعة التكوين:

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد فإنهما يشتركان في أشياء هي التي يشترك فيها الجنس الواحد، فهما يشتركان في طبيعة التكوين الرجل والمرأة، يقول الله تعالى: ﴿*يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها*﴾ [النساء: ١]. كما أنهما يشتركان في الكرامة الإنسانية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿*ولقد كرّمنا بني آدم*﴾ [الإسراء: ٧٠]. وهو في ذلك يدخل الرجل والمرأة على السواء.

ثانيا: حرية الاعتقاد:

كما أنهما يشتركان في حرية الاعتقاد فكل من الرجل والمرأة حر في أن يعتقد ما يريد وكل منهما محاسب على ما يعتقد ـ وليس هناك قهر أو إجبار

ـ والقرآن الكريم يحدّثنا عن بعض أنبياء الله الذين كانت زوجاتهم كافرات بالله كنوح ولوط عليهما السلام: يقول الله تعالىٰ: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين فخانتاهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾ [التحريم: ١٠]. وقد أباح الإسلام أن يتزوج المسلم من كتابية ـ يهودية أو نصرانية ـ بدون أن يجبرها علىٰ دينه.

ثالثا: الثواب والعقاب:

والرجل والمرأة يشتركان في الثواب والعقاب وكل ما يترتب علىٰ الإيمان من عمل فهي كالرجل في حسابها علىٰ ما تقوم به من عمل صالح أو غير صالح، ولقد أفاضت الآيات الكريمة في ذلك.

يقول الله تعالىٰ: ﴿**إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥]. كما يقول تعالىٰ: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ [النحل: ٩٧]. ويقول الله تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ، بعضكم من بعض، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الثواب**﴾ [آل عمران: ١٩٥].

رابعا : الحقوق المدنية :

وللمرأة مثل ما للرجل في الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة والإجارة، ولها أن تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي - قبل الزواج أو بعده - وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء في أرقى المجتمعات الغربية حتى الآن فهي قبل الزواج تحت وصاية الأب أو الأخ وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج. والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها فالزوج هو الذي يدير الأموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون إذن من الزوجة، والزوجة لا تملك أن تبرم أي عقد بشأن هذه الأموال إلا بموافقة الزوج.

يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: ***«إن حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الأوروبية، إن الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلاً عن مهرها، وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الإنفاق على أمور المنزل، وهي إذا أصبحت طالقاً أخذت النفقة، وإذا تأيمت أخذت نفقة سنة، ونالت حصة من تركة زوجها»***.

خامسا : العلم والعمل :

وللمرأة في الإسلام حق التعلم وفي ذلك يقول الرسول الكريم ***«طلب العلم فريضة على كل مسلم»*** رواه البيهقي. وقد طلب النساء من النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه ويعظهن فحدّد لهنّ يوماً.

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج فهي كالرجل يباح لها في أثناء الخطبة أن تنظر إليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعاً بأنه مقبول

لديها وذلك في حدود ما شرع الله، وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل عنه، ورأيها ضروري لإتمام عقد الزواج، وفي ذلك يقول الرسول الكريم: *«الثّيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأمر ـ تستأذن ـ وإذنها سكوتها»*، ولو أن أباها زوجها بدون علمها أو رغماً عنها فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد.

فالمنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء ـ والفطرة جعلت الرجل رجلاً والمرأة امرأة، وأودعت كلاً منهما الخصائص المميزة له ـ وجعلت لكل منهما وظائف معينة لحساب الإنسانية، وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادّة بين الرجل والمرأة فيه تجنّ على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإسلامي، بل والمجتمع الإنساني كله فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الإسلامي لأن الذي شرعه هو خالق الذكر والأنثىٰ وهو أدرىٰ بكل منهما بما يصلحه وما يصلح له.

والإسلام كرم المرأة فجعل لها الحق في النفقة والسكنىٰ وألا تكلف بعمل خارج المنزل فإن حرفتها الأمومة وصناعة الإنسان، وهي أشرف صناعة وأهمها في هذه الحياة.

يقول الشيخ شعراوي في ذلك: «والإسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة، وقد بيّن القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شعيب إذ أن أباهما كان شيخاً لا يقوىٰ على السعي ـ وليس لهما أخوة من الذكور ـ ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان بل تنتظران حتىٰ يصدر الرعاء، وهي بذلك لا تنسىٰ نوعها ولا تزاحم كما

يزاحم الرجال، وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في إعانة موسىٰ لهما علىٰ السقي، ومن هنا يتضح لنا أن تنظيم الإسلام للأسرة قائم على الفطرة التي لا تتغير إلا بالانحراف، وهو يجاري الفطرة في تخصص المرأة لوظيفتها.

وحين يخصص الإسلام المرأة للأسرة فإنما يخصصها لرعاية الإنتاج البشري وهو خير ما في الوجود ويعهد إليها بصيانة قدس من أقداس الإسلام، والمجتمع الإسلامي المحض الذي يتربىٰ فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته، ويقوم بواجب خلافة الله في الأرض، ولذلك يجب أن نشغل أعصابها بإعالة نفسها وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة، ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ثم بتوالي الأيام تتحول إلىٰ جنس ثالث يُعذَّب ويشقىٰ.

ومن هنا فإن الإسلام لم يكتب علىٰ المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يحاربون ـ وهي في هذا الميدان أقدر وأنفع، أقدر لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل، وأنفع بالنظر إلىٰ مصلحة الأمة علىٰ الطويل فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء تدع للأمة مراكز إنتاج الذرية فتعوّض الفراغ ـ ورجل واحد في النظام الإسلامي يمكن أن يجعل نساء أربعاً ينتجن ويملأن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة من الأمان، فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن إليه الرجل هي تكمله وهو يكملها. والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة علىٰ المرأة.

والإسلام حين منح المرأة هذه الحقوق منحها لها دون طلب ودون ثورة

ودون جمعيات نسائية لأن الذي أعطىٰ لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرىٰ بإمكانات كلٍ، ومن هنا فقد جعل الإسلام الرجل رجلاً والمرأة امرأة وأودع كلاً منهما خصائصه المميزة له ـ وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة ـ وكل واحد منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة . . ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة ولا تحديات ولا يوجد رجل عدو للمرأة أو امرأة عدوة للرجل بل مودة ورحمة.

وحين يقول كارل ماركس: إن المرأة لا بد وأن تعمل لتعيش فهو يتكلم عن مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين. . . يقول الشيخ شعراوي: «والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل، وازدادت هي شقاء فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج، والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة فليس المفروض أن يحدد الإنسان المستوىٰ الذي يعيش فيه، وبعد ذلك يحمل الدخول عليه والمفروض أن يحدد مستواه علىٰ قدر دخله، وهذا ما جعل الناس ينحرفون، ولذلك فإن الإسلام لا يطلب من المرأة العمل، فإن احتاج إليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي أن يكون العمل مخففاً والأجر مضاعفاً.

ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل، وأجرها أقل وهذا العبء زيادة علىٰ الوضع الطبيعي للمرأة من حمل وولادة ورضاعة وشؤون منزل وقد أثر هذا علىٰ الأبناء في تربيتهم، إن نسبة العاملات في مصر ١٤٪ فقط ومع ذلك فقد ظهر مرض اسمه: مرض فقدان الحنان وأصبح له كرسي في جامعة الإسكندرية فما الأمراض التي تحدث عندما تبلغ نسبة العاملات ٥٠٪ مثلاً.

يقول مسيود. و. اسس: إن المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم وعلىٰ العموم فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلىٰ أي من نساء الشعب حتىٰ في أثناء الشغب وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالأم درجة العبادة. وفي الشرق لا نجد رجلاً يقوم علىٰ إلزام زوجته بالعمل ليستفيد من كسبها، وفي الشرق يدفع الرجل مهراً إلىٰ زوجته.

مواطن الاختلاف:

١ - القوامة للرجل.

٢ - نقصان العقل والدين.

٣ - تفاضل الميراث.

٤ - حق الطلاق.

٥ - الاحتفاظ بالرجولة والأنوثة.

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة إبعادها عن الإسلام والسير في طريق الغرب رغم أن الغرب يلاقي أنواعاً من المتاعب والمشكلات ومن ذلك:

أولا: شبهة القوامة:

ومن وجهة نظر الإسلام فإن قيادة البيت والإنفاق علىٰ الأسرة عملية تنظيم ولا تسيء إلىٰ إنسانية المرأة أو تنتقص من حقوقها. ولذلك يجب أن يُنظر إليها في إطار الأسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالىٰ: ﴿الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض، وبما أنفقوا

من أموالهم﴾ [النساء: ٣٤].

وقيادة الرجل للأسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي إليه الشورىٰ في الأسرة وليست قيادة سيادة أو استبداد وإن كانت الأصوات العالية في الغرب وفي الشرق أحياناً تحاول أن تصور ذلك، والسبب أن عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الأحوال السوية، إلىٰ درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧]، والله عز وجل قد أعد المرأة لدورها كما أعد الرجل لدوره فالمرأة مزودة بالرقة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة.

وهذه المطالب ليست سطحية بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة، ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة، وهو بطيء الانفعال وذلك لأن وظائفه كلها تحتاج إلىٰ قدر من التروي وإعمال الفكر، وهذه الخصائص تجعله أقدر علىٰ القوامة وأفضل في مجالها.

ثانيا: شبهة نقصان العقل والدين:

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الإسلام: أن الرسول ﷺ قال: «إنهنّ ناقصات عقل ودين» ويجيب علىٰ هذا الشيخ شعراوي فيقول: «العقل بمعنىٰ الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة موجود عند الرجل والمرأة والإسلام يستطيع بداية أن يتصرف في مدركاته تصرفاً يعطي له مزيداً من المخ ـ والعقل أيضاً حصيلة تجارب وثقافة وهو العقل المكتسب ـ والمرأة مفروض عليها أن تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ولذلك كانت الآية الكريمة الآتية موضحة

السبب ﴿*واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرىٰ*﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالضلالة هنا ضلالة اختصاص ولذلك فإن المرأة تقبل شهادتها في شؤون النساء بدون شهادة الرجال كالرضاعة والولادة، ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها كسن الأطفال ـ والمعاملات من ميادين الرجال فإذا اقتحمها النساء فهنا الضلالة ـ فالمرأة حين ترىٰ شيئاً في الخارج فإنها لن تتغلغل في المسألة، فقد يكون هنا شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه، أما الرجل فليس له هذا التحفظ فالشهادة من الأشياء التي تريد من الإنسان أن يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة، والمرأة نظراً لوضعها في أنوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصاً فيها بل كمال في جهتها ليعينها في مهمتها في الحياة».

ويقول الدكتور محمد البهي: «المرأة المعاصرة التي تصرّ علىٰ طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية تتغاضىٰ عن أخص خصائص طبيعة المرأة وهي سرعة الاستجابة لمؤثرات خارجية، هي أكثر من الرجل انعطافاً وانحناء علىٰ الآخرين وأكثر تصديقاً لأوضاعهم وأقوالهم إذا ما بدت هذه الأوضاع والأقوال في صورة جدية فالمسافة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها، وانقباضها وانبساطها، وإدبارها وإقبالها، وتشددها وتلهفها، ولو سوّت شريعة الله بين الرجل والمرأة في ذلك ـ رغم الفروق النوعية ـ بينهما ـ لكانت المساواة علىٰ حساب العدل بين الناس ولما كان فيها مصلحة تعود علىٰ المرأة لأنها عندئذ تكون ضد خصائصها».

والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها علىٰ نحو معين من غير أن يكون لها إرادة في الاستجابة والوظائف العامة أحوج ما تكون إلىٰ استقرار القاضي وعدم تعرّضه لمؤثرات خارجية أو ذاتية تخضعه حتماً لأوضاع نفسية أو بدنية قد تكون متناقضة.

ثالثا: شبهة الميراث :

ومن الشبهات التي أثيرت حول المرأة في الإسلام: «أن الإسلام لم يساوها في الميراث مع الرجل» لقد كانت المرأة في الجاهلية مجرد متاع يورث، لا شأن لها ولا وزن، ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمي القبيلة، وكثيراً ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الأنثىٰ، حتىٰ إن بعضهم كان يسارع إلىٰ وأدها ﴿***وإذا بشّر أحدهم بالأنثىٰ ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارىٰ من القوم من سوء ما بُشّر به، أيمسكه علىٰ هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون***﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

ولقد كانت المرأة في الجاهلية إذا تزوجت ثم مات عنها زوجها سارع أحد أبناء زوجها للزواج بها إذا أعجبته، أو يمنعها من الزواج حتىٰ تفتدي نفسها بمبلغ من المال، وإلىٰ هذا يشير القرآن الكريم في قوله: ﴿***يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن***﴾ [النساء: ١٩]. كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون إذن من زوجها أو وليها، ثم جاء الإسلام وردّ إليها اعتبارها فساواها بالإنسانية في الرجل: «***إنما النساء شقائق الرجال***» وحرّم وأد البنات وحثّ علىٰ تعلميهنّ وأوجب علىٰ الرجل الإنفاق علىٰ المرأة ولو كان لها مال خاص.

وكذلك الإنفاق علىٰ الأسرة ولذلك فإنه لم يسو بينهما في الميراث، لأن المرأة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للأسرة فهي الكاسبة علىٰ هذا الوضع ـ وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشراً يرشدها إلىٰ طريق الاحتفاظ باعتبارها البشري وبخصائصها في الأنوثة والأمومة والزوجية أي بخصائصها كأنثىٰ حتىٰ لا تتحول إلىٰ رجل أو شبه رجل ـ ومساواتها بالرجل اقتصادياً واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية، فهو يضعف إحساسها بالأنوثة كما يضعف إحساسها بالأمومة ويجعل هناك تراخياً في العلاقات الزوجية.

رابعا: شبهة الطلاق :

ومن الشبهات التي تثار حول الإسلام أنه أباح الطلاق فهو بذلك لا يحافظ علىٰ كيان الأسرة وأنه جعله في يد الرجل وفي هضم لحقوق المرأة لعدم مساواتها بالرجل.

والإسلام دين واقعي: فهو أولاً قد أبعد عن الأسرة شبح الطلاق لأنه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالىٰ أبغض الحلال يقول الرسول الكريم: «*أبغض الحلال عند الله الطلاق*» وطلب من الرجل أن يصبر علىٰ زوجته حتىٰ عند الكراهية يقول الله تعالىٰ: ﴿*وعاشروهنّ بالمعروف، فإن كرهتموهنّ فعسىٰ أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً*﴾ [النساء: ١٩].

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين فإن الإسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ويلزمه باتباع أمور من شأنها أن تعيد للأسرة استقرارها، فالزوج عليه أولاً أن يعظ زوجته وينصحها، فإن لم يُفد فيمكنه أن يهجرها في المضجع، فإن لم يُفد فيمكنه أن يضربها ضرباً غير مبرح، لكي تشعر

المرأة التي تتصرف بعاطفتها مقدار ما يجره عليها تعنتها من ضرر على الأسرة، وحين لا يؤدي ذلك إلىٰ نتيجة يقوم حَكَم من أهله وحَكَم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها، ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية أو استحالتها يقول الله تعالىٰ: ﴿***فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما***﴾ [النساء: ٣٥].

وحتىٰ الطلاق لم يجعله الإسلام نهائياً من أول طلقة واشترط أن يقع الطلاق في حالة طهر، وألا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين الأولىٰ والثانية فعسىٰ أن تطمئن النفوس، وتهدأ الأعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس، فتعود المياه إلىٰ مجاريها كل هذا من أجل المحافظة علىٰ الوحدة الصغيرة للمجتمع فإن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالىٰ: ﴿***الطلاق مرتان: فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان***﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومنع الطلاق نهائياً ناحية مثالية قد تصلح فكراً ولكنها لا تصلح تطبيقاً في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها ـ ولقد مكث الناس في الغرب وفي الشرق غير الإسلامي فترات طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج ـ كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا علىٰ أنفسهم للحصول علىٰ الطلاق أو يعمدون إلىٰ تغيير دينهم وعندما يتم الطلاق يعودون إلىٰ دينهم السابق ولما أصبح معروفاً في المجتمعات البشرية أنه لا بد من إباحة الطلاق أقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه إلىٰ درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة.

وقد نشرت مجلة «التيكونوميست» الإنجليزية قبل فترة من الزمن: «لقد

انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق مثل أستراليا يسمح بإنهاء أي زواج بعد يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد» والجمعية القانونية ربما تصدر نداءها للإصلاح في الشهر القادم.

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٨٢ بالنسبة للأسر هو تكوين محاكم الأسرة وبما أن هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين في مشاكل الأسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق مثل الوصاية وكفالة الأبناء، ولكن السويد خطت خطوة أبعد من ذلك فقد نقلت الطلاق من القاضي إلى الزوجين معاً فإذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فإنه يتم بينهما دون حاجة إلى حكم القاضي ويكفي تسجيله في السجل المدني، وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الأوروبية لأنه يتجنب تعقيد الإجراءات القضائية من جهة كما يتجنب الكشف عن أسرار الزوجية من جهة أخرى.

ولقد كان الطلاق حقاً من حقوق الرجل لأن المرأة تحكمها العاطفة ـ وحين مكنت المرأة من حق الطلاق في الغرب أصبح يحدث لأتفه الأسباب وفي أمريكا تبلغ نسبة الطلاق ٤٨٪ وهناك أسباب عجيبة للطلاق مثل: أن تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم أو لأنه لا يشركها في شؤونه، ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة أن تكون العصمة بيدها فإن ذلك من حقها، ثم إن لها الحق في أن تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية **﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾** [البقرة: ٢٢٩]، وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبي ﷺ.

خامساً: شبهة الاحتفاظ بالرجولة والأنوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة، وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما، فإذا ما أراد أي نوع منهما أن يتشبّه بالنوع الآخر فإن ذلك لا يبيحه الإسلام، لأن هذا النوع الذي يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر، ذلك لأن التوازن الأخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والأدبية، والملبس أحد هذه العوامل فالشخص الذي يلبس لباساً رياضياً يشعر بأن روحاً رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية، والشاب الذي يلبس لباس الرجل العجوز يظهر أثر هذا اللباس علىٰ مشيته وفي تصرفاته.

ومن هنا كانت محافظة الإسلام علىٰ أن يظهر كل من الرجل والمرأة متميزاً في لباسه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ***«لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»*** رواه البخاري، وفي رواية ***«لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»*** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ***«لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»*** رواه البخاري.

وقد ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام: أن ممن لعنوا في الدنيا وأمّنت الملائكة علىٰ لعنهم رجلاً جعله الله ذكراً فأنّث نفسه وتشبّه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثىٰ فتذكّرت وتشبّهت بالرجال، وقد رأىٰ الرسول الكريم رجلاً يلبس الحرير فقال: ***«إنما هذه لبسة من لا خلاق له»*** رواه البخاري ومسلم، وعن علي رضي الله عنه قال: نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب وعن لباس القسي نوع من الحرير وعن لباس المعصفر.

وأخيرا :

كرم الإسلام المرأة تكريماً لا نظير له في فلسفة من الفلسفات أو مجتمع من المجتمعات، وقد كانت آخر كلمة قالها رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت «*استوصوا بالنساء خيراً*» وفي السنن عن معاذ بن جندة القشيري أنه قال: يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبّح» ويقول عمر ابن الخطاب: والله إنا كنا في الجاهلية لا نعد النساء أمراً حتىٰ أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم.. ويقول الرسول الكريم: «*أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهن خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم*» ويقول: «*استوصوا بالنساء خيراً فإنهنّ خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن أردت أن تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج*» رواه النسائي. وهو بذلك يريد أن يتحمل الرجال تصرفات النساء، ولقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك.

والمرأة إذا كانت أماً فقد كرّمها الإسلام تكريماً رائعاً، يقول الله تعالىٰ: ﴿*ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهناً علىٰ وهن، وفصاله في عامين أن اشكر لي، ولوالديك، إلي المصير*﴾ [لقمان: ١٤]، فقد طلب الإحسان بالوالدين ثم خصّ الأم، ثم طلب أن يكون الشكر لله وللوالدين، وقد سأل أحد الصحابة النبي الكريم: من أحق الناس بصحابتي؟ قال: «*أمك*» قال ثم من؟ «*أمك*» قال: ثم من؟ قال: «*أمك*» قال ثم من؟ قال: «*أبوك*» فقد ذكر الأم ثلاث مرات ثم ذكر الأب بعد ذلك لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والإرضاع، ثم إن الأم بطبيعتها أضعف من الأب، وهي لذلك في حاجة إلىٰ الرعاية أكثر من الرجل.

ولذلك فإنه من الخطأ أن يراد للمرأة أن تأخذ موقعاً لم تهيأ له لأنهم أرادوا لها أن تتمرد على دينها في مجتمعنا الإسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة، وهي شعارات براقة تخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الإسلامي، وسيؤدي ذلك إلى أنها ستشغل بالخارج فتترك أمر بيتها، وإذا خرجت المرأة إلى الشارع فإنها ستخرجع متبرجة فتلهب الغرائز وسيؤدي ذلك إلى انحراف المجتمع.

والإسلام ينشد للمرأة أن تكون إنساناً كريماً يقوم على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الإنساني العالي يتبلور في إلزام الرجل أباً أو ابناً أو أخاً أو زوجاً بالإنفاق على البنت والأم والأخت والزوجة ـ ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت ـ وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الأول في لقاء الرجل بها وسعيه إليها ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة، ثم حرصها على دور الأمومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤].

وأخيراً.. كيف نريد المرأة المسلمة؟

١ـ نريدها أن تكون حليف زوجها المؤمن، تؤيده في دعوته، وتنشِّطه في عمله، وترغِّبه في جهاده، وتصبر علىٰ ما يكلِّفها ذلك من حرمان. . وربما ضيق رزق وفقد زوج أو ولد.

تقول خديجة رضي الله تعالى عنها للنبي ﷺ ـ وقد خشي علىٰ نفسه حين جاءه الوحي أول مرة ـ: كلا، والله! لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصِلُ الرَّحِمَ، وتقري الضيف، وتحمل الكلَّ، وتعين علىٰ نوائب الدهر.

وتقول صحابية لنساء جئن إليها بعد استشهاد زوجها: إن كنتن جئتن مهنئات فمرحباً، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن، لقد عرفت زوجي أكّالاً وما عرفته رزّاقاً، فإذا ذهب الأكّال فقد بقي الرزّاق سبحانه وتعالىٰ.

٢ـ نريدها أن تكون مع زوجها ربة بيت، ومربية أولاد، وأنس زوج، تعفّ عما حرّم الله تعالى، وتنأىٰ عن معصية سبحانه ﴿***فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله***﴾ تقدِّم كل شيء لله تعالىٰ، همها الأكبر إرضاء زوجها في رضىٰ الله تعالىٰ.

لقد بذلت خديجة رضي الله تعالىٰ مالها كلَّه للدعوة، وكانت للرسول ﷺ نعم الزوجة، وربّت أولادها خير تربية.

٣ـ نريدها أن تكون المتعلمة المثقفة، التي تتلقىٰ العلم النافع وتعمل به

وتبنّه إلىٰ مثيلاتها، كانت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها إحدىٰ المجتهدات، وكان كبار أصحاب رسول الله ﷺ يأتون إليها ويسألونها من وراء حجاب فتجيب، وكم كان لها استدراكات علىٰ الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلىٰ قولها.

وكانت تزورها النساء في بيتها فتعلّمهنّ، وهذه المرأة المخزومية التي قُطعت يدها تقول عنها الرواية: (. . . فكانت تأتي بعد ذلك إلىٰ بيت عائشة تتفقّه في دينها).

وكم كانت نساء رسول الله ﷺ يبلِّغْنَ النساء أحكام الدين وأحاديث رسول الله ﷺ.

٤ـ نريدها أن تكون القويّة في دينها، لا يغرّها الفَراش، الذي يتساقط علىٰ كل نور فيحترق، ولا السراب الذي يبدو للضعيفات ماء وليس بشيء، لثقتها أن ذلك كله ضلال وضلال.

هذه امرأة فرعون حاكم مصر ومدّعي الألوهية، يعذِّبها زوجها فما يزيدها عذاب زوجها لها إلا تصلُّباً في دينها، حتىٰ إنها لتقول وهي مشبوحة علىٰ الأخشاب: ﴿**ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجِّني من فرعون وعمله، ونجِّني من القوم الظالمين**﴾ [التحريم: ١١].

٥ـ نريدها أن تكون المرأة الصادقة. . الصادقة في حياتها مع زوجها ونفسها، الصادقة مع أولادها الذين تربِّيهم علىٰ مثل حزم أبي بكر، وقوة عمر، وحياء عثمان، وعلم علي، وشجاعة خالد، وكرم عبدالرحمن بن عوف، وبرّ خديجة، وعلم عائشة، وطاعة أسماء.

وما أجمل الأسرة القائمة علىٰ الصدق، قال عبدالله بن عامر: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ في بيتنا فقالت: ها، تعال أُعْطِكَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «*ما أردت أن تعطيه؟*» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «*أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كُتبت عليك كذبة*» أخرجه أبو داود.

٦ـ نريدها أن تكون المرأة الصابرة، ترضىٰ بقضاء الله تعالىٰ، وتصبر علىٰ بلائه في نفسها وزوجها وأولادها، ولا بدَّ في الحياة من البلاء.. والعافية.

قال رسول الله ﷺ: «*أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلىٰ الناس علىٰ قدر دينهم، فمن صلب دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتىٰ يمشي علىٰ الأرض ما عليه خطيئة*» أخرجه ابن حبان.

وتصبر عن معصية الله تعالىٰ، فلا ترضىٰ أن تفقد صبرها عن المنكرات، فتسقط كما يسقط فراش النساء أما المغريات، لتحترق علىٰ شهوات الرجال، مقابل كلام معسول ومال مبذول وأمنية موعودة، ثم.. ثم تكون العاقبة إلىٰ النار وبئس القرار.

وتصبر علىٰ طاعة الله تعالىٰ لا ترضىٰ عنها بديلاً، لا تفوتها صلاة أينما كانت، ولا تخالط الرجال مهما احتاجت، ولا تلبس لبس الفاسقات مهما دعيت وأغريت.

وهي تعيش علىٰ هذا الصبر بأنواعه، مع زوجها، وأولادها، وأهلها، ومجتمعها، تتواصىٰ في ذلك كله به ﴿ **.إلا الذين آمنوا، وعملوا**

الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر﴾.

٧ـ نريدها أن تكون الصّديقة الصّدوقة لأمثالها، المعوان على فعل الخير وصنع المعروف، لا تدّخر في ذلك وسعاً، أياً كان ذلك العون. . وكيفما كان ذلك المعروف، تفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله. و«صنائع المعروف تقي مصارع السوء». كما ورد في الحديث.

٨ـ نريدها أن تكون المرأة العفيفة الشريفة، لا تنظر إلى غير زوجها وأهلها بقصد سوء، لا تحاول أن ترى الرجال أو أن تعرض نفسها لرؤية الرجال الأجانب قصداً أو مصادفة، ولا تعاشر من النساء إلا العفيفات الشريفات، وإذا خرجت من بيتها كانت الأديبة الوقور في لبسها ومشيها، وحديثها إذا احتاجت إلى حديث. . ولا تأذن في بيت زوجها لأحد من أهلها بغير إذن زوجها، ولا تأذن لغريب بحال، لا تعرِّض نفسها لمواقع التهم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: ***«من عرَّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ».***

٩ـ ونريدها أن تكون الملازمة على ذكر الله تعالى وطاعته، وقراءة القرآن الكريم وفهمه وتدبُّره، وقراءة الحديث والتوحيد والفقه والسيرة، وتعيش بذلك كله.

ولا شك أن تربية الوالدين للأولاد يكون أفضل ما يكون بطريق القدوة، القدوة في القول أولاً، والعمل ثانياً، والثاني آكد.

فإن الصغار ـ بل العامّة ـ كأنهم يسمعون بعيونهم كما يبصرون بها، وقلّ أن تجد الكلمة الطيبة طريقها إلى قلوبهم إذا كان العمل يخالف القول.

عن أم أنس رضي الله تعالىٰ عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: جعلك في الرفيق الأعلىٰ من الجنة وأنا معك، قال: «*أقيمي الصلاة فإنها أفضل الجهاد، واهجري المعاصي فإنها أفضَل الهجرة، واذكري الله كثيراً فإنها أحب الأعمال إلىٰ الله*» أخرجه الطبراني.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

من إصداراتنا

العنوان	المؤلف
* أئمة الهدى	عبد الرحمٰن قره حمود
* أخطاء تربوية شائعة	أم حسان الحلو
* الإنسان بين السحر والعين والجان	زهير محمود حموي
* إليك من الحياة	ابتهال قدور
* بطاقات تربوية للطالبات	ضحى الطيب
* تساؤلات حائرة... وإجابات مريحة ١/٢	مجموعة من الأطباء
* جولات في رياض الجنات	محمد رشيد العوّيد
* حكايات حواء	صدر منها سبع قصص
* عفاف (قصة هادفة)	أم حسان الحلو
* قالت لي جدتي	محمد رشيد العوّيد
* كيف أعتني بطفلي	د. رضوان بيطار
* محاورات زوجية	محمد رشيد العوّيد
* مذكرات زوجة سعيدة	محمد رشيد العوّيد
* المرأة كما يريدها الإسلام	خالد مصطفى عادل
* المرأة وقضايا الحياة	يحيىٰ حاج بشير يحيىٰ
* المراهقون	عبدالله سالم
* مشكلات تربوية في حياة طفلك	محمد رشيد العوّيد
* مكتب زواج	عبد الرحمٰن قره حمود
* مواقف إنسانية في السيرة النبوية	عبدالله سالم
* من أجل تحرير حقيقي للمرأة	محمد رشيد العوّيد